العُمْرَان الإسلامي

دراسة تأصيلية في ضوء
القرآن الكريم والسنة النبوية

أ.د. أبو اليسر رشيد كهوس

الطبعة الأولى
1434هـ/ 2013م

www.dar-elhekma.com
info@dar-elhekma.com

رقم الإيداع	2013/9888
الترقيم الدولي	978-977-728-016-7

@

من الهدي القرآني

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾

[سورة هود]

من مشكاة النبوة:

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى". (رواه الإمامان مسلم وأحمد رحمهما الله).

إهداء

ﷺ øÅÔ¤ɟäş ȸΛÀDZÅƮţä ÅΑǩåÅè dzäşøǔ Бǔ
.ȸΛÆöä ȳƵΛ Бǔ ɹÅÊǵüä ⱡƮȞHǤǩ ȸŋş

مقدمة

الحمد لله كما ينبغي لعظيم جلاله، وله الشكر على ما آلى من عميم إفضاله، أنزل القرآن وهدى من أحب لاجتناء أزهاره، واقتباس أنواره، والأخذ بأوامره ونواهيه ووعده ووعيده وأخباره، واختار منهم خزنة لأسراره، وأرشدهم لإبراز رموزه، واستنباط كنوزه، وجمع درره، وقطف ثماره. ورفع مقام العلم وأهله، وأنعم عليهم سوابغ نعمه بفضله، وأكمل دينه وجمع مفترق شمله. وجعل الطريق إلى بناء العمران في محبة النبي العدنان، وسلك طريق القرآن، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد الممدود بإكرامية جلاله، المتمم مكارم الأخلاق ببعثته وإرساله، الصادق المصدوق في أقواله وأفعاله، وعلى عترته أهل بيته الطيبين الطاهرين، الوارثين لأسرار خاتم المرسلين ومنقذ العالمين، وعلى أصحابه الذين عزروه ووقروه ووفوا بالعهود ونصروه، ونقلوا شرعه العزيز وآثروه، وعلى خلفائه الراشدين أئمة الهدى ومصابيح الدجى، من بهديهم اقتدى، التالين في شرف ذلك المدى، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فليس قصدي بالعمران تخطيط البناء المادي وهندسته فحسب، وإنما قصدي به هندسة بناء الإنسان وروحه ونفسه ومجتمعه وأمته، إنه بناء الإنسان والأمة عقيدة وفكرا، حضارة وتاريخا، وجدانا وروحا، ونسيجا اجتماعيا مترابطا...

وعليه، فإن الحديث عن هذا العمران البشري الإسلامي ومقوماته وخصائصه ودعائمه والسبيل إليه وما يتعلق به؛ أمر يفرضه مستقبل الأمة المسلمة الذي بشرتنا به الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وكذلك جهود أبنائها من أجل العودة إلى ذلك النبع الصافي الذي استقى منه ذلك الجيل القرآني الأنموذج الخالد جيل الصحابة ﷺ، لترفع الأمة الإسلامية رأسها عزيزة كريمة، لتكون حقا كما وصفها ربها تبارك وتعالى بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴿١١٠﴾﴾ (آل عمران).

وإنما يتحتم هذا البحث أيضا من أجل أن يبين الدعائم الأساسية والأسس المتينة لبناء عمران إسلامي أخوي يكون رحمة في العالمين، ويحقق ما ينشده العالم من الهدى والرشاد على نور ما أنزل الباري جل وعلا على نبيه الكريم ﷺ بقوله: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ (إبراهيم). أي تلك المَهمة المركزية وهي؛ إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن كهوف العقائد الضالة إلى رحاب العقيدة التوحيدية الصحيحة...

ولذلك فإن هذا الكتاب يتحدث عن السبل المؤدية إلى بناء عمران بشري إسلامي أخوي، قاعدته التعاون والتآزر والتكافل، وجماله المحبة والمودة والإحسان. يؤسس نظاما اجتماعيا اقتصاديا سياسيا أخلاقيا إيمانيا متجددا بتجدد إيمان المسلمين، فاعلا ناجعا في إقامة صرح الإسلام من جديد...

فمن ركام الخراب العقدي والمادي والنفسي الذي يُعانيه المسلمون من جراء هزيمتهم التاريخية أمام الغزو الجاهلي الشامل والاستكبار العالمي، يشرق النور، وتطلع الشمس التي طالما انتظرها المستضعفون في الأرض.

كما يتناول هذا الكتاب السبل المؤدية إلى إعادة تأسيس المجتمع الإسلامي الأخوي على الأسس التي قام عليها المجتمع الإسلامي الأول، محبة وأخوة وتربية وجهادا في رحاب المسجد، وتحت ظلال السيرة النبوية العطرة.

في هذا الكتاب دعوة إلى المحبة -أصل الدين وعموده الفقري-، ودعوة إلى التكافل بكل أنواعه، والتعاون على البر والتقوى كما أمر ربنا جل في علاه، ودعوة إلى تربية الإنسان تربية إيمانية إحسانية متوازنة، ليقتحم العقبة إلى الله، ودعوة إلى الاستمساك والاعتصام بحبل الله المتين وصراطه المستقيم، وسنة نبيه الأمين عليه الصلاة والسلام، والسير على المنهاج النبوي في التربية والتغيير. لنبني عمرانا إسلاميا متماسكا لا تضره عاصفة ما دام مستمسكا بالكتاب والسنة، وما دام سائرا على المنهاج النبوي بعيدا عن الأنانية المستعلية أو المتمتعة الغارق أصحابها في الشهوات والملذات، والأماني المعسولة، والعادة الجارفة التي تكرس التبعية للوضع السائد.

وقد اقتصرت في هذا الموضوع على ما هو أولى، والحمد لله على ما أولى، جائحا للاختصار، تاركا التطويل والإكثار، بعد التثبت والتحري فيه، حسبما وصلت القدرة إليه، بعد عون الله وتوفيقه.

وقد جاء هذا العمل الموسوم بـ: "العمران الإسلامي" مكونا من مقدمة وخاتمة وفهرسة، وثمانية مباحث؛

المبحث الأول: حقيقة العمران الإسلامي؛

المبحث الثاني: أسس العمران الإسلامي الأول؛

المبحث الثالث: أصول العمران الإسلامي؛

المبحث الرابع: خصائص العمران الإسلامي؛

المبحث الخامس: دعائم العمران الإسلامي؛

المبحث السادس: الطريق إلى العمران الإسلامي؛

المبحث السابع: قوام العمران الإسلامي؛

المبحث الثامن: المرأة المسلمة وإسهامها في تشييد صرح العمران.

فما حقيقة العمران المنشود، الذي نزرع فيه لليوم الموعود؟ وما هي أهم أسسه وخصائصه ودعائمه؟ وما السبل المؤدية إليه؟ والأصل الذي يستند عليه؟ وهذا ما سيتم التفصيل فيه إن شاء الله في هذا الكتاب، بتوفيق من الله رب الأرباب.

ولله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون.

وكتبه أبو اليسر رشيد محمد كهوس
الأحد 20 جمادى الأولى 1428 هـ
بوجدة المغرب الأقصى.

المبحث الأول

حقيقة العمران الإسلامي

في هذا الكتاب أستعمل كلمة إسلامية وهي "عمران" ولا أستعمل كلمة "حضارة" النابتة في غير أرضنا، حتى لا تختلط المفاهيم، وحتى يكون جوارنا للقرآن لا للحضارة الغربية المادية، وجلوسنا عند منبر الحبيب المصطفى ﷺ، لا عند المخربين معنويا الغافلين عن الله والدار الآخرة. فلنا غنى عن الماديات بلغة القرآن وبيان النبي العدنان.

قبل أن ألج باب العمران، أُبين الفرق بين العمران "والحضارة"، حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وحتى نكون على بينة من أمرنا.

إن كلمة "حضارة" تكسوها الأنفس المعجبة بزخرف الدنيا وغرورها حلة من الأبهة والهيبة. لنقف مليا عند معناها.

تعد كلمة "حضارة" الترجمة الشائعة للكلمة الإفرنجية "Civilización"، والتي يعود أصلها إلى عدة جذور في اللغة اللاتينية؛ "Ciudad" بمعنى مدنية، و"Ciudadano" أي مدني، "Cívico" بمعنى وطني، و"Civiliza" بمعنى حضّر مدّن، أو "Civil" مدني ضد عسكري. كما أنها تقرن أحيانا بمصطلح "Cultivo" التي في معناها اللاتيني تفيد الزراعة والفلاحة. ولم يُتداول الاشتقاق "Civilización" حتى القرن الثامن عشر.

وقد وقع تداخل كبير في الفكر الأوروبي في تناوله لمفهوم "Civilización"، فمنهم من جعل المفهوم مرادفًا لمفهوم الثقافة "Cultura"، ومنهم من جعله قاصرًا على نواحي التقدم المادي مثل أصحاب الفكر الألماني، ومنهم من جعله شاملاً لكل أبعاد التقدم مثل المفكرين الفرنسيين.

ومع دخول الاستحمار الأوروبي إلى البلاد العربية في بدايات القرن العشرين، انتقل لفظ "Civilización" إلى القاموس العربي.

أما في الاصطلاح؛ فاخترت هذا التعريف -الذي نقلته من الفرنسية إلى العربية-، الحضارة: "هي عملية التحضر، يعني الرقي بالمجتمع إلى مستوى معتبر، مثلا: مجتمع مزدهر ومتطور... والحضارة ضد البربرية والوحشية"[1].

وهي كذلك "مجموعة من المحاور المميزة للدولة المتطورة في مجتمع معين، سواء تعلق الأمر بالمستوى التقني أم الثقافي أم السياسي، أم العقلي"[2].

وهناك تعريف آخر أكثر بيانا لمادية الحضارة قال أحد الفضلاء الغربيين من المتخصصين في علم الاجتماع " يعرِّفُ "الحضارة": "الحضارة تشمل الوسائل المنفعية المادية للحياة الإنسانية الاجتماعية. الحضارة لها طابعٌ عقلاني يفرضه تقدم الظروف الطبيعية المادية للعمل والإنتاج والتكنولوجيا"[3].

ولقد ذكر صامويل هنتجتون "Samuel Huntington" في كتابه "صدام الحضارات" الفرق بين كلمة "حضارة" بمفرد وكلمة "حضارات" بجمع قال: " إن مفهوم الحضارة بصيغة مفرد حاول تطويره نخبة من المفكرين الفرنسيين في القرن الثامن عشر، تعبيرًا عن مجموعة قيم معينة رفيعة إذا وجدت في قوم سمو متحضرين وتسمى آثارهم حضارة كنقيض للبربرية التي تعني مجموعة قيم منحطة إذا وجدت في قوم أطلق عليهم صفة البربرية وعدم التحضر"[4].

أما عند "ديورانت" فيعرفها بأنها: "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإن الحضارة تتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق"[5].

---

(1) الرابط: http://fr.wikipedia.org/wiki/Civilisation

(2) نفسه.

(3) نقلا عن كتاب: العدل الإسلاميون والحكم، عبد السلام ياسين، مطبوعات الصفاء للإنتاج، ط1/ 2000، ص175.

(4) Samuel Huntington, The Clash of civilization, Simon Schuster,NY1996, p40

(5) ول ديورنت، قصة الحضارة، (جامعة الدول العربية، 1957م)، ج1/ ص4.

أما في اصطلاح مؤرخنا الحكيم عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله، فالحضارة هي: "نهاية العمران وخروجه إلى الفساد، ونهاية الشر والبعد عن الخير"[1]، ويضيف تعريفا آخرا للحضارة وهي: "سر الله في حصول العلم والصنائع"[2]، ويقول: "والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه"[3]، وهي "سمة لحياة الاستقرار في الحضر والأخذ بمعالمها والعيش في هنائها المادي"[4]. إلى غير ذلك من المفاهيم التي تبين مادية الحضارة.

يقول العلامة يوسف القرضاوي -حفظه الله-: "كان عيب هذه الحضارة أنها استغنت عن الله، وعزلته عن الحكم في ملكه، وتصرَّفت كأنها صاحبة الخلق والأمر في هذا العالم، وعظمت ما هو مادي، وهوَّنت كل ما هو معنوي، واعتبرت التقدم في إنتاج أكبر كمّ من السلع والخدمات، وإشباع أكبر قدر من اللذات والشهوات، ولو كان على حساب القيم والأخلاق. فلا عجب أن ضمرت روحها، وإن كبر جسمها، وانطفأ نورها، وإن بقيت نارها، فأصبحت دنيا بلا دين، وعلما بلا إيمان، وتمثالا بلا روح"[5]. ﴿...حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾(يونس).

إن فقدان الأساس العقدي في الحضارة الغربية المعاصرة حرمها من التوجيهات الإلهية، فأصبحت "كافة قيمها وتوجهاتها جاهلية أرضية، خاضعة لنزعات البشر وأهوائهم، وأحوالهم المزاجية التي لا تستقر على وضع ولا تثبت على حال.. وبفقدان الدين الصحيح تفقد الحضارة ماء الحياة وروح الوجود الحقيقي.. نعم! قد تبلغ الحضارة -البعيدة عن الدين الصحيح- مبلغا في الرقي المادي والتطور التقني، ولكنها حضارة محكوم عليها بالسقوط لا محالة، ذلك أنها تحمل بين طياتها جرثومة فنائها و"مكروب" زوالها.

(1) المقدمة، المؤرخ الحكيم عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: د.درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2/ 1420هـ2000-، ص117.
(2) المقدمة، ص543.
(3) مقدمة ابن خلدون، ص160.
(4) الحضارة العربية الإسلامية، د. إبراهيم أحمد العدوي، والدكتور نايف عبد السهيل، مؤسسة الشراع العربي، ط1994، ص8.
(5) الإسلام...حضارة الغد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1/ 1416هـ1995-، ص6.

وقد أكد القرآن الكريم هذه القضية في آيات عدة، تحدثت عن حضارات بلغت في التمدن والرقي المادي منزلة هائلة.. ولكن هذا كله لم يكن ليغني عنها من الله شيئا، إذ اندثرت هذه الحضارات، وأصبحت أثرا بعد عين، ليس لنقص في التمدن أو الرقي، ولكن الانحراف في الفطرة وفساد العقيدة"[1].

فهذه الحضارة جسد بلا روح، فروح العمران هو العقيدة الصحيحة والإيمان بالله وبرسله وما جاءوا به من الحكمة والكتاب. نعم حققت تلك الحضارة منجزات مادية كثيرة؛ من عمارات ومصانع وآلات ورفاهية العيش وحرية الإنسان... هذا كله جسد، لأنها أهملت الآخرة أهملت عالم الغيب، وأكبّت على الدنيا ومتعها... وهذا المسعى يجرها إلى الدمار والبوار مهما طال الزمان.

في مقابل تلك الحضارة – الغربية – المعجبة بالحياة الدنيا وبَهْرجها يقترح علينا الإسلام مشروع عمران أخوي؛ قاعدته الإيمان والعبودية والعدل والشورى، وجماله المحبة والمودة والرحمة.

فقصدي بالعمران يشمل المدلول الخلدونيّ "للعمران" الذي يضع كلمة "حضارة" في مقابلة "بداوة". ويستعمل كلمة "عمران" للتعبير عن الازدهار الاقتصادي من زراعة وتجارة وبناء. والمدلول العصري "لحضارة" مربوطَيْن بتوجّه القاصدين المعمِّرين المتحضرين على منهاج السكة المستقبلية العابرة من الدنيا للآخرة، مربوطين بمعاني عِمارة المساجد الواردِ فيها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾(التوبة). مربوطين بالكلمة القرآنية التي بلغ بها العبد الصالح سيدنا صالح عليه السلام قومه بمراد الله الشرعي من المومنين إذ قال لهم: ﴿...هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾(هود).

والعمران الأخوي له اتجاه ومعنى: عمران لأن الله تعالى استعمرنا في الأرض واستخلفنا فيها إلى حين. وإسلامي لأننا نقيم دعائمه على مبادئ الإسلام وأخلاقه وتعاليمه، وأخوي لئلا ينسى المؤمن أنه أخ المؤمن في الدين، وأخ الإنسان في الإنسانية،

(1) النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي، ياسر أبو شبانة، ط1، 1418هـ-1998م، دار السلام، القاهرة، ص347.

يُسعده في الدنيا والآخرة أن يعيش الناس في سلام وأمن منه إذ سلم المسلمون من لسانه ويده، والمومن من سلم الناس من لسانه ويده. المسلم المومن من وسع الناس والخلق جميعا بره وخيره.

عمران أخوي له اتجاه ومعنى: اتجاهه صلاح الدنيا لِصلاح الآخرة، من الدنيا الزاد الصالح، وفي الآخرة المستقر السعيد، والرحلة عمران موقت لدار يستكمل فيها المسافر معاني آدميته، وتستكمل فيها الأمة وظيفتها الرسالية. لا تُسْمَعُ كلمتها الرسالية إن كانت أمة مفتقرة هزيلة ضعيفة[1].

يقول الله عز اسمه: ﴿...هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴿٦١﴾﴾(هود)، "إن أصلنا كتاب الله، وإن عمارة الأرض واجب فرضه الله على الأمة المستخلفة في الأرض. (...) استعمركم في الأرض: طلب منكم أن تقوموا بعمرانها، فإن أطعتم فهي عبادة[2].

وفضلا عن ذلك فإن أصل العمران الإسلامي الأخوي نجده في قوله جل في علاه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴿١٠٣﴾﴾(آل عمران).

وفي الحديث الذي رواه سيدنا النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ رضي الله عنه عن سيدنا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[3].

والحديث الذي رواه سيدنا أَبو مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺ قَالَ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا". وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[4].

(1) حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، عبد السلام ياسين، مطبوعات الأفق، ط1/ 1994م. ص 189.
(2) في الاقتصاد البواعث الإيمانية والضوابط الشرعية، عبد السلام ياسين، مطبوعات الأفق، ط1/ 1995م. ص 83.
(3) الجامع الصحيح للإمام مسلم رحمه الله، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ح4685. والمسند للإمام أحمد رحمه الله، باب حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. وغيرهما.
(4) صحيح الإمام البخاري، باب نصر المظلوم وباب تعاون المؤمنين بعضهم. وصحيح الإمام مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، والإمام النسائي والبيهقي وغيرهم رحمهم الله.

ففي تلك الآية الكريمة، وفي هذين الحديثين، صورة واضحة لذاك العمران الأخوي، الذي تسود فيه المحبة والأخوة والرحمة والحنان.

والمقصود بالعمران الأخوي كونه محضنا للأخوة الصادقة الواضحة المعالم كما بينها كتاب الله تعالى وسنة سيدنا رسول الله ﷺ .يقول ربنا تبارك وتعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴿١٠﴾ ﴾ (الحجرات).

ويقول عز وجل:﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (التوبة). فالانضمام إلى مجتمع العمران الأخوي له شرائطه، وهي واضحة في الآية المذكورة؛ ﴿ فَإِن تَابُواْ ﴾: التوبة من شرك ومن إسلام وراثي بال، ثم ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾: ليس أداؤها فقط، بل بالقيام بشرائطها كاملة؛ من الالتزام بأركان الإسلام ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (آل عمران)، والانتهاء عن المنكر ﴿ ...إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ... ﴿٤٥﴾ ﴾ (العنكبوت)، وإيتاء الزكاة ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (البقرة) إسهاما منه في الحد الأدنى من التكافل الاجتماعي الذي يطبع هذا العمران الأخوي.

فمجتمع العمران الإسلامي الأخوي مجتمع متقيد بتعاليم الإسلام مجتمع متماسك البنيان، قوي الأركان، متسامي الذروات، تبدو المجتمعات الأخرى أمامه كركام من الصخر، أو كثب من الرمل المتناثر، أو أقزام من الأبنية المخلخلة التي تتلاعب بها الرياح، ومهما ارتفعت فإنها لا تدانيه قوة وتماسكا وسموا، وذلك لأن كل عضو من أعضاء المجتمع الإسلامي العام المتقيد بتعاليم الإسلام يعمل في مكانه وموقعه من الجماعة بما يجب عليه تجاهها، ويبتغي بكل أمر من أموره مرضاة الله تعالى وثوابه، وتربطه بالمجتمع وبكل فرد من أفراده مجموعة من الأربطة المتينة، منها الأربطة التالية: الأخوة الإيمانية، والمودة المتبادلة، والحب في الله، والعدل، والإيثار، والبذل، وتأدية الواجب، والمصاحبة والمعاشرة بالمعروف، والصدق، والأمانة، والوفاء بالعهد، والصدق في الوعد، وإفشاء السلام، واحترام الأخ المسلم وتكريمه، والهبة والهدية، وإكرام الضيف، والتزاور في الله، وعيادة

المريض، والإصلاح بين المتخاصمين، والتسامح، والعفو، وإبراء الذمة، ورحمة الكبير للصغير، وتوقير الصغير للكبير، إلى غير ذلك من أربطة اجتماعية[1].

ومما سبق ذكره من التعريفات فإنا نعتقد أنه لا بيان يُرجى، ولا بلاغَ، ولاَ مَسْلَكَ إلى قلوب العباد، ولا أصالةَ للخطاب الإسلامي إلا بالأسلوب القرآني السني البريء من لَوَثات الفلسفة وعُجمات الحذلقة الثقافية. لكن ما حيلتُنا والنشءُ المُغرَّبُ الذي نحب أن نخاطبه ونحاورَه أُلْقِم منذ طفولة عقله طُعمة العُجمة القلبية وإن انطلق لسانهُ بلغة الضاد. فعالَمه الذهنيُّ مسكون باللاييكية الفلسفية، لا يفهم عنك إن لم تحدثه بلغة العصر، التي لا يفهم غيرها، عن القومية والاشتراكية واللبرالية والوجودية والديمقراطية والرأسمالية الأمبريالية، وعن الديموغرافية الأصولية، وعن التراث والأصالة، وعن الثقافة والفن، وعن كل شيء سِوى الله عز وجل، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدَر خيره وشره.

إنا لا بد أن نبلغها واضحةً صالحةً، قوية مُدَوِّيَّةً، أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. وأن القرآن حق وما عارضه باطل، وأن محمدا ﷺ حق وما خالف سنته باطل. وأن الإسلام نور والجاهلية ظلام. وأن لله أولياءَ يبعثهم ويدخلهم الجنة. وأن له أعداء يبعثهم بعد الموت ويدخلهم النار. وأن مواجهة الإسلاميين لأعداء الدين فرض جهادي[2]. وأن سعيهم لتحقيق سنن الله في النصر والتمكين في الأرض لدين الله واجب وضرورة.

وإن شريعة الله جل في علاه الخالدة بها صَلُح أمر هذه الأمة في القرون الأولى، وبها يصلح أمرها في هذا القرن. وإن العمران الأخوي -وهو مطلبُنا الاجتماعي والسياسي-، على مَهْيَع تحقيقه تتوحد الأمة، وبحافز ضرورة التوحيد تجتمع جهود النهضة والتغيير.

---

(1) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير-الاستشراق-الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، في سلسلة أعداء الإسلام (3)، الشيخ عبد الرحمن حَبَنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط8/ 1420هـ2000-م، ص319.

(2) العدل، ص 19-20.

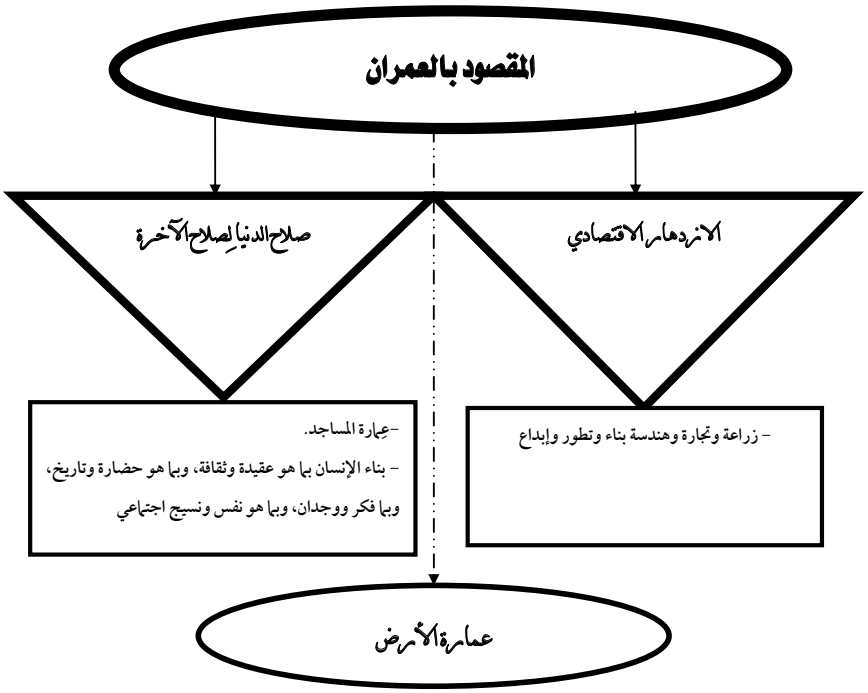
المقصود بالعمران
صلاح الدنيا لصلاح الآخرة
الانردهار الاقتصادي
-عِمارة المساجد.
- بناء الإنسان بما هو عقيدة وثقافة، وبما هو حضارة وتاريخ، وبما فكر ووجدان، وبما هو نفس ونسيج اجتماعي
- زراعة وتجارة وهندسة بناء وتطور وإبداع
عمارة الأرض

المبحث الثاني

أسس العمران الإسلامي الأول

إن أول عمل قام به سيدنا رسول الله ﷺ لما وصل إلى المدينة المنورة؛ بناء مجتمع العمران الأخوي -بعد بناء الإنسان-، على دعائم أربع: بعد الإيمان بالله ورسوله، بناء المسجد روح الإسلام وعاصمته،ثم الصحيفة التي تم بموجبها تنظيم مجتمع العمران الأخوي الإسلامي داخليا مع جميع طوائفه، وخارجيا في حماية هذا المجتمع من كل اعتداء، ثم الإخاء بين المهاجرين والأنصار، ثم تشكيل الجيش الإسلامي، لحماية المجتمع الإسلامي، وتحقيق أهدافه الأخوية الدعوية المنشودة.

هذه هي الأسس المتينة للمجتمع الإسلامي الجديد؛

الأساس الأول: بناء المسجد

﴿... لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (التوبة)، ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾(النور).

بناء المسجد مركز التجمع والتآلف هو أول خطوة قام بها سيدنا رسول الله ﷺ، واختار له المكان الذي بركت فيه ناقته ﷺ، فاشتراه من غلامين يتيمين كانا يملكانه، وأسهم في بنائه بنفسه صلوات ربي وسلامه عليه.

"ولم يكن المسجد موضعًا لأداء الصلوات فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ومنتدى تلتقي وتتآلف فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها، وقاعدة لإدارة جميع الشئون وبث الانطلاقات، وبرلمان لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية.

وكان مع هذا كله دارًا يسكن فيها عدد كبير من فقراء المهاجرين اللاجئين الذين لم يكن لهم هناك دار ولا مال ولا أهل ولا بنون"[1].

إن للعمل الإسلامي محفلاً ومدرسة، مكان يتعلم فيه المومن السمت بالمثل الحي وبالموعظة الحسنة، ويتعلم فيه العلم ويتعلم فيه الحكمة ويتعارف فيه مع المومنين، ويجد فيه الراحة والألفة والمحبة. ذلكم هو المسجد، هذه المؤسسة المركزية في حياة الجماعة. والإسلام الفاتر الفردي الذي يعرفه وقتنا تجد صوته في مساجدنا. تجد شيوخا يركعون في جو بارد ليس فيه تعارف ولا أخوة ولا محبة. لا يسأل المصلي عن جاره في الصف ولا يعرفه، ولا يبادله الود. وإن تكن موعظة فهي خطابة وفصاحة لا مخاطبة وتذكير.

ولكي يعود المسجد مركز النشاط الإسلامي والقلب النابض لحركة الجماعة الإسلامية لابد أن نعلم أن المسجد وضع ليذكر فيه اسم الله. وعمارة المسجد لا تكون ولن تكون إلا برجال أوتوا الإيمان فهم يتدارسون القرآن، أو آخرين يتزكون ويذكرون اسم ربهم كما أمر: سبح اسم ربك، قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى.

فإذا عمر المسجد بتدارس القرآن وبذكر الله نزلت على عامريه الرحمة وغشيتهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده كما يقول الحديث المتواتر. الرحمة في القلوب تحل عقد الأثرة والحقد الطبقي، والسكينة تهدئ عوامل القلق وهي الطمأنينة هذه النعمة التي حرمها الناس، ويذكر الله عنده من يذكرونه فهم في رضاه وعنده بين يديه. وكل هذا لن نجده إلا في المساجد العامرة، لكن العامرة حقا برجال مؤمنين متآخين يدرسون القرآن ويذكرون الله. وغير هذا لا يكون، والجمعيات الثقافية، الإسلامية في زعمها، لا تشم ريح هذا ولا تعرفه إلا أن ترجح إلى المسجد وتتعرض للرحمة والسكينة والرضى، تذكر الله وتدرس قرآنه[2].

---

(1) الرحيق المختوم، للعلامة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط، 1424هـ - 2004، ص167.

(2) الإسلام بين الدعوة والدولة؛ المنهاج النبوي لتغيير الإنسان، عبد السلام ياسين، ط1/ 1392 هـ المغرب.

عن أَبي هُرَيْرَةَ وَأَبي سَعيد الْخُدْرِيِّ { أن النبي ﷺ قَالَ: "لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؛ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ".[1]

ومن بيت الله "المسجد" تنطلق الفضائل، وتتوحد الجهود. قبلة واحدة وقرآن واحد، وإرادة متعاونة، وعبء مشترك. خمس صلوات تجمع وجمعة وخطبة، ونظام لا يتقوقع في الذات الخاصة، وسريان الدعوة من الأقرب إلى الأقرب.

في المسجد يعقد لواء الجهاد، ومن قدسيته وجامعيته يكتسب الميثاق قدسية وجامعية.

والصدق الصدق. والعلم العلم بمالك وما عليك، وما لنا وما علينا مما يقربنا إلى الله زلفى. يخرج المؤمنون وقد عقد كل واحد مع الله عقدا، ووثقوا فيما بينهم ميثاقا. يخرجون وليلهم ليل المومنين، ونهارهم نهارهم، وعهدهم عهدهم، وأخوتهم أخوتهم، وكلمتهم صدق، واتفاقهم عزم، وشُوراهم دين، وقيادتهم مشتقة من طاعة الله ورسوله[2].

والمسجد موطن الوقار والهيبة والحياء والجد، وقد احتفظ المسجد بمظهر المساواة بين المصلين وإن كان قد فقد هذه المشاعر الرقيقة مشاعر المحبة والمواساة بين المسلمين. ولا عجب فإن الناس يتعاملون خارج المسجد بغير ما كان يتعامل به الأنصار والمهاجرون إذ يضع أولئك الأسعف تحت التمر ليختار المهاجر النصيب الأصغر من تمر أخيه فلا يتألم قلبه!

دخلت مساجدنا فخفخةٌ ما كانت على عهد رسول الله ﷺ وتلك أمة قد خلت، ولا يؤوي إسلامنا إلا مساجد وظيفية في شكلها إنسانية بمضمونها، بمجالس الإيمان وبالمبايعة على الطاعة والتطوع والتعاون البناء. ولن نهدم هذه المساجد المشيدة المزوقة بل نعمرها، وعمارتها شيء غير هذا التزويق، إنما عمارتها بقلوب طاهرة وعقول مدبرة وجسوم نظيفة قوية وأخلاقية تعبق بأريج الروحانية العالية للمؤمنين المحسنين[3].

(1) رواه الأئمة: مسلم في صحيحه باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، أحمد في مسنده مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ابن ماجه في سننه باب فضل الذكر.

(2) محنة العقل المسلم، ياسين، ص 74.

(3) الإسلام غدا، العمل الإسلامي وحركية المنهاج النبوي في زمن الفتنة والتغيير، عبد السلام ياسين ط1/ 1972م1393-هـ، المغرب، ص271.

الأساس الثاني: الإخاء بين المهاجرين والأنصار

يقول الله جل في علاه: ﴿... هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ (الأنفال).

ويقول الله عز سلطانه: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِى وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِى ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾ (الفتح).

ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية، وتسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يكون أساس الولاء والبراء إلا الإسلام.

وقد امتزجت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة وإسداء الخير في هذه الأخوة، وملأت المجتمع الجديد بأروع الأمثال.

وهذا يدلنا على ما كان عليه الأنصار من الحفاوة البالغة بإخوانهم المهاجرين، ومن البذل والإيثار والود والصفاء، وما كان عليه المهاجرون من تقدير هذا الكرم حق قدره، فلم يستغلوه ولم ينالوا منه إلا بقدر ما يقيم أودهم.

وحقًا فقد كانت هذه المؤاخاة حكمةً فذةً، وسياسةً حكيمةً، وحلًا رشيدًا لكثير من المشاكل التي كان يواجهها المسلمون، والتي أشرنا إليها[1].

لقد ترك لنا الحبيب هذه الصورة المثالية المَثَلِيَّة لنحقق من شَبَهها ما نستطيع. ويكون الواحد منا أقربَ إلى الله ورسوله وأعلى مرتبة في الإيمان والإحسان ومقاعد الآخرة كلما كان شعور الإخاء وبذلُ الإخاء وتوادُّ الإخاء وتراحمه وتعاطفُه أغلبَ في قلبه وأكثر تحكما في سلوكه من مشاعر الأنانية والأثرة والعصبية والولاء الطاغوتي المتقلص المتحجر المتجسد في الولاء للدولة القومية.

(1) الرحيق المختوم، للعلامة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ص167.

يقرأ بعض المسلمين التمثيل النبوي للوحدة الأخوية بين المومنين فيتصورها وحدة عضويَّة حقيقيَّة، ويحنُّ إليها حنين المومن إلى الفردوس، ويطلبُها عاجلة ناجزة مبرأة من كل عيب. وإنها لمثالية الشباب، وشيكة أن تعقبها مرارة الفشل وغُصة الإخفاق عندما يصدم الواقع الثقيل تلك الآمال الخيِّرةَ.

وإنه لفهم خياليٌّ أن نتصور وحدة المسلمين على صفات ملائكية، أو على غرار ما يتسابق إلى ذهننا من أن مجتمع المدينة على العهد الفاضل كان فردوسا على الأرض.

غاية ما يُطلب إلينا أفراداً أن نتوسل إلى الله عز وجل ونتقرب إليه ليحبنا. ومن شروط حب الله عز وجل لنا أن نحب المومنين[1].

قال مؤرخ السيرة الشيخ محمد بن إسحاق رحمه الله: " وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والانصار، فقال: تأخوا في الله أخوين أخوين.

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: "هذا أخي ".

فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد، وعلي بن أبي طالب أخوين.

وكان حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين، وإليه أوصى حمزة يوم أحد، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين ومعاذ بن جبل أخوين.

قال ابن هشام: كان جعفر يومئذ غائبا بأرض الحبشة.

قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين، ويقال: بل كان الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر النجاري أخوين، وطلحة [بن عبيد الله] وكعب بن مالك أخوين، وسعيد بن زيد

(1) الإحسان، ياسين، 2/ 516.

وأبي بن كعب أخوين، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين، وأبو حذيفة ابن عتبة وعباد بن بشر أخوين، وعمار وحذيفة بن اليمان العبسي حليف عبد الأشهل أخوين.

ويقال: بل كان عمار وثابت بن قيس بن شماس أخوين.

قلت: وهذا السند من وجهين.

قال: وأبو ذر برير بن جنادة، والمنذر بن عمرو المعنق ليموت أخوين، وحاطب بن أبى بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين، وسلمان وأبو الدرداء أخوين، وبلال وأبو رويحة عبدالله بن عبدالرحمن الخثعمي ثم أحد الفزع أخوين.(...)

وقال الإمام أحمد رضي الله عنه: حدثنا عفان، حدثنا حماد، حدثنا ثابت وحميد، عن أنس، أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فقال له سعد: أي أخي، أنا أكثر أهل المدينة مالا، فانظر شطر مالي فخذه، وتحتي امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها.

فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق.

فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط وسمن ".[1]

الأساس الثالث: الوثيقة (الصحيفة):

بعدما قام سيدنا رسول الله ﷺبعقد هذه المؤاخاة بين المؤمنين، قام بعقد معاهدة (وثيقة) أزاح بها ما كان بينهم من نُعرات في الجاهلية، وما كانوا عليه من أحقاد وحمية الجاهلية، واستطاع بفضلها إيجاد مجتمع إسلامي موحد. وفيما يلي نصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي الأمي، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم[2] يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف

(1) السيرة النبوية للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير(701 – 747هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، 1396 هـ – 1971 م دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، (ج 2 / ص 324).

(2) ربعتهم: حالهم التي أتى الإسلام وهم عليها.

والقسط، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار: بني ساعدة، وبني جشم، وبني النجار، وبني عمرو بن عوف، وبني النبيت.

إلى أن قال: وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا [1] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة [2] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعهم، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.

وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا.

وإن المؤمنين يبيء [3] بعضهم بعضا بما نال دماءهم في سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلى أن يرضي ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ.

---

(1) قال ابن هشام: المفرح المثقل بالدين والكثير العيال.
قال الشاعر: إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع.
(2) الدسيعة: العظيمة.
(3) يبيء: يمنع.

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ [1] إلا نفسه وأهل بيته.

وإن ليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، ولا ينحجز على ثأر جرح، وإنه من فتك فبنفسه [فتك وأهل بيته] [2] إلا من ظلم، وإن الله على أبر هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه

فإنهم يصالحونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر واتقى ".

كذا أورده ابن إسحاق بنحوه"[3].

---

(1) يوتغ: يهلك

(2) من ابن هشام

(3) السيرة النبوية للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، ج 2 / ص 321 وما بعدها.

الأساس الرابع: تشكيل الجيش الإسلامي

يقول الدكتور عماد الدين خليل: " بهذه الإجراءات الأربع وضع القرآن والرسول ﷺ القواعد الأولى لدولة الإسلام في المدينة، وأخذت التشريعات المنبثقة عن هذين المصدرين تنمو وتتسع يوما بعد يوم، لا بطرائق نظرية تجريدية منفصلة عن الحياة والواقع وإنما وفق نفس الأسلوب الذي كانت الآيات المكية تتنزل فيه لكي تبني العقيدة في أذهان ونفوس الإنسان والجماعة المسلمة، وهو أسلوب يرتبط ارتباطا عضويا حيويا بالواقع الحركي والتجربة الحية المعاشة، ومن ثم تجيء معطياته أشد التصاقا بحركة المسلمين ونمو دولتهم، وأكثر التحاما بتجربتهم المحسوسة وواقعهم المعاش، وأعمق فهما وإدراكا لمتطلباتها وأبعادها القانونية والسلوكية، نظرا لمواكبتها لمشاكلهم وتجاربهم اليومية ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم"[1].

هكذا يتبين لنا الأسس المتينة التي قام عليها مجتمع العمران الأخوي الأول، كان سيدنا رسول الله ﷺ رسولا ونبيا ينزل عليه الوحي من لدن حكيم خبير، وفي نفس الوقت كان قائدا مجاهدا ومشرفا على إدارة شؤون المجتمع العمراني الإسلامي الجديد، وعلى هديه ومنهاجه النبوي سار خلفاؤه من بعده في تدبير شؤون مجتمع العمران.

بهذه الحكمة وبهذه الحذاقة أرسى رسول الله ﷺ قواعد مجتمع جديد، كانت صورته الظاهرة بيانا وآثارًا للمعاني التي كان يتمتع بها أولئك الأمجاد بفضل صحبة النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يتعهدهم بالتعليم والتربية، وتزكية النفوس، والحث على مكارم الأخلاق، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة.

(1) دراسة في السيرة، ص 135، دار النفائس، بيروت، ط1/ 1418هـ1997م.

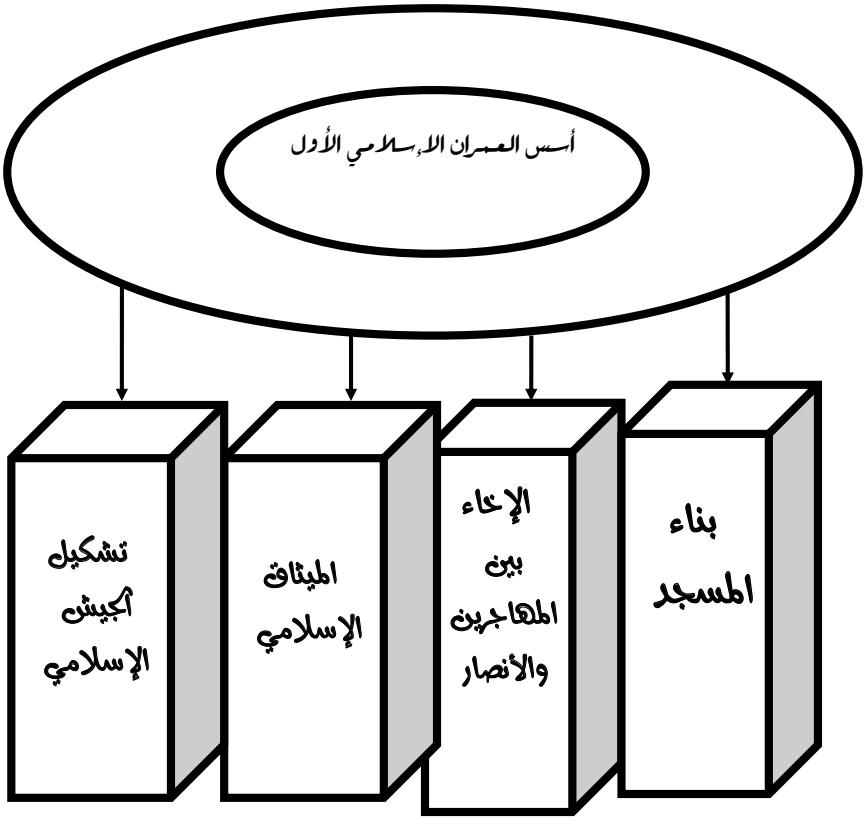
أسس العمران الإسلامي الأول
بناء المسجد
الإخاء بين المهاجرين والأنصار
الميثاق الإسلامي
تشكيل الجيش الإسلامي

المبحث الثالث

أصول العمران الإسلامي

يرجع العمران الأخوي المسلم إلى أصول واضحة المعالم وهو الإسلام المتمثل في:

1. القرآن الكريم:

والقرآن هو الدعامة الرئيسة الذي نبع منه هذا العمران الإسلامي واستقى من معينه الصافي، فوضع معالمه الكبرى، ولفت الأنظار إلى أهميته. ولم يقتصر على ذلك بل وضع أسسه ودعائمه في شتى المجالات...

أ) **المجال العقدي**: أكد القرآن الكريم وحدة العقيدة في هذا العمران، وهي أساسه لا اللون والجنس وباقي الاعتبارات المادية... كما أبطل القرآن كل المعتقدات الفاسدة والعقائد الضالة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ... ﴿١٩﴾ ﴾ (آل عمران).

ب) **المجال الاجتماعي**: أقر القرآن مبدأ المساواة، وألغى الطبقية، وقضى على التفرق والتشرذم وحمية الجاهلية والنُّعرة القبلية فيما بين البشر، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾(الحجرات).

ث) **المجال السياسي**: لقد حدد القرآن الكريم طبيعة الحكم، قال ربنا الكريم: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (المائدة)، وقال جل جلاله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾(النساء)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(المائدة) ﴿ ...هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (المائدة) ﴿ ...هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (المائدة)، -والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب-. وأرسى قواعد الحكم الإسلامي، من عدل قال الباري جل وعلا: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ (النساء) وشورى: ﴿ ... وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ لَهُمۡ.. ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران). وحدد -القرآن- طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ... ﴿٥٩﴾ ﴾ (النساء)، انظر إلى التعبير القرآني، أولي الأمر منا، من المؤمنين، أما إذا خرجوا من دائرة المؤمنين ووجهوا وجهم شطر الغرب الصليبي الحاقد، وطبقوا قانونه لا الإسلام فحينئذ لاطاعةلهمعلينا.

هذا، إضافة إلى مجموعة من المقومات والدعائم والركائز التي تثبت أركان هذا العمران في المجال السياسي.

ج) **المجال الاقتصادي والتكنولوجي**: حث القرآن على السعي في مناكب الأرض، وتطوير الإنتاج، وأخذ ما عند الأمم من التكنولوجيا، والزراعة والصناعة والتنمية... وفي هذا يقول الله جل جلاله:

← في إعداد القوة وتطوير التكنولوجيا وغير ذلك مما يدخل في الإعداد: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾(الأنفال).

← في أخذ ما عند الأمم من التكنولوجيا والصناعة...: وهذا يدخل في إعداد القوة الذي تحدثت عنه الآية القرآنية السابقة من سورة الأنفال، وقد كان المسلمون على عهد سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام "على بينة من أمرهم، على ثقة من ذاتهم، والوحي ينزل والنفس استقرت في فطرتها. لذلك ما ترددوا لحظة في غزوة الأحزاب عن تبني تقنية الخندق، وهي تقنية عسكرية فارسية، ولا تردد النبي ﷺ في غزوة حنين عن بعث رجلين

إلى الشام يتعلمان صناعة المنجنيق وهي صناعة رومية، "[1] وقد استعمل النبيﷺ في حصار الطائف آلات حربية غير عربية، مثل الدبابة[2]، والمنجنيق[3].

← في الإنتاج الزراعي: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (الأنعام).

← في الاقتصاد بصفة عامة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الملك).

ولأهمية الاقتصاد باعتباره قوام العمران الأخوي وعماده المادي، أحاول أن أفصل فيه بالحديث عن الضرورات الملحة في مجال الإنتاج بصفة خاصة والاقتصاد بصفة عامة كالآتي:

1- ألا يكون احترام الملكية الخاصة، وهي الأصل في الاقتصاد الإسلامي، مانعا من تعبئة كل طاقات الأمة لإنتاج الكفاية والقوة. بحيث لا يسمح للمالكين التصرف السفيه الذي ينافي المصلحة العامة، ولا يسمح بكنز الأموال، ولا بتعطيلها. ولا يسمح للمالكين بالعيش الطفيلي على مردود أموال منحاة عن الدورة الاقتصادية للأمة.

2- تحرير القوة العاملة من قبضة رأس المال، واعتبار العمل القيمة الأسبق في الاقتصاد.

3- تشجيع المبادرة الفردية بما لا يتنافى مع الخطة العامة لاقتصاد الأمة.

4- تشجيع التعاون، وإنشاء شركات إسلامية صناعية، لإخراج الأموال من ميادين التملك العقاري والاستثمارات غير المنتجة.

---

(1) سنة الله، ياسين، ص288.

(2) الدّبّابَةُ: آلَةٌ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ تتخذ من جلود وخشب يَدْخُلُ فِيهَا الرّجَالُ فَيَدُبّونَ بِهَا إلَى الْأَسْوَارِ لِيَنْقُبُوهَا.

(3) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة في الحرب.

5- تأميم القرض والمصارف، وتحويلهما إلى مؤسسات لا ربوية تنشط عملية الإنتاج.

6- تأميم وسائل الإنتاج الأساسية المتصلة بالمصالح العامة، توسيعا لمفهوم اشتراك الناس في الماء والكلإ والنار، وقياسا عليه.

7- وضع خطة تنموية بواسطتها تتدخل الدولة في توجيه عملية الإنتاج، وتشجيعه، وتنظيمه، دون أن يصبح التدخل عرقلة للمبادرات النافعة، ولا تعقيدا مكتبيا.

8- إتاحة فرص الشغل لكل قادر على العمل، باعتماد التقنيات والأساليب التي تشغل الناس أكثر مما تشغل الآلات الميكانيكية. هذا في حدود ضرورات التصنيع. فإنه لا يمكن الإنتاج الثقيل، والفني، والحديدي، إلا بصناعة تقنية ممكنة. وعلينا السعي لمسابقة ومنافسة الدول المصنعة التي تعيش ثورة الإلكترون، التي تطور الصناعة، وأطر الاقتصاد، وظروف المنافسة العالمية، بما يتلاءم والنظام "الأوطاماطي" والبرمجة الإعلامية. نحن مسبوقون سبقا فظيعا في مجالات التكنولوجيا والخبرات الاقتصادية، نحن المسلمين في مؤخرة ركب الدول المستضعفة. ولا نعني بكوننا مسبوقين أن ننهج سبيل الحضارة المادية التي تقود العالم والإنسانية للإفلاس. نعني ونريد أن ترتفع همتنا بعد التصنيع، مع تجنب أخطاء غيرنا، أن نخترع نمطا إنسانيا للإنتاج والاستهلاك، يحقق لنا القوة والكفاية، دون أن يحول الإنسان دابة اقتصادية، ودون أن يبذر خيرات الأرض، ويفسد الماء والأرض والسماء.

9- تدريب الخيرات والمهارات الضرورية، واستعادة الأدمغة المهاجرة من أبنائنا الأذكياء.

10- تهيئ سوق واسعة لمنتجات المسلمين.

11- إصلاح زراعي يطبق القاعدة الإسلامية: "من أحيا أرضا مواتا فهي له". وبالنظر إلى المقاصد الإسلامية يمكن اعتبار المتهاونين في حراثة الأرض، والمتغيبين عنها، والرافضين لتوجيه الدولة الإسلامية، معطلين للأرض، يستحقون أن تنزع منهم. وبهذا

الاعتبار نلتمس أحكاما واستدلالات لإعادة توزيع الأرض، بجمع الملكيات الصغيرة، وتفتيت الكبيرة، بما يناسب تنشيط الإنتاج، ويرفع إنتاجية العمل.

12- توسيع السوق للمنتوجات الإسلامية بالإسراع لتكتل اقتصادي بين الأقطار الإسلامية، بقطع النظر عن أنظمة الحكم فيها. فإن التكامل الاقتصادي، والتضامن بين الدول القائمة في بلاد الإسلام، ضرورة تاريخية ملحة، لا يتحمل تشييدها انتظار الانسجام في فهم الإسلام.

13- تهييء تكنولوجية وتخطيط ونمط إنتاج واستهلاك لمستقبل الإسلام، حتى نتحرر من النموذج الجاهلي. ففي مرحلة الانتقال توجه ثروات الأمة لتحصيل التنمية، والاكتفاء الذاتي، والأمن الغذائي، والقوة الاقتصادية والعسكرية. وفي هذه المرحلة لا نملك إلا أن نستعمل التكنولوجيا المتاحة في السوق، وأساليب التخطيط، وأنماط الإنتاج، التي جربت وتجرب في البلدان النامية.

ولا بد أن نتعلم ونتلمذ. وفي مرحلة لاحقة، حين تشتد قواعدنا إن شاء الله، ونستقل بالعلم والخبرة، لا بد أن نقيم اقتصادا منسجما كما وكيفا مع مقاصد الشريعة، هادفا لخدمة أهداف الشريعة، صالحا لتقديم الزاد المادي النظيف الطيب للمؤمن المقبل على ربه، يخاطبه ربه بما خاطب به رسله الكرام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ (المؤمنون) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾(البقرة)[1].

وبما أني تحدثت عن الإنتاج وضروراته الشرعية، فلابد أن أتحدث أيضا عن الاقتصاد وواجباته الشرعية.

إن الاقتصاد الإسلامي يجب أن يوضع في سياق شامل. فإن جاز لنا بحكم الاضطرار أن نستعير تقنيات غيرنا وأساليبهم في الإنتاج ريثما نطور أساليب وتكنولوجيات من عندنا مناسبة لمقاصدنا، فلا يجوز أن نقلد غيرنا في أصول التوزيع والقسمة.

(1) المنهاج النبوي، ياسين، ص333 وما بعدها.

وهذه هي الخطوط العامة للإجراء الشرعي في توزيع الثروة:

1- احترام الملكية الفردية، بشرط ألا يظهر سفه على المالك يدفعه إلى تبديد الأموال التي استخلفه الله فيها وجعلها للأمة قيما وقياما. وكل ملكية خاصة تعارض مصلحة المسلمين العامة فلا حرمة لها. ويرحم الله الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ فقد ترك لنا سنة، وهي سنة رسول الله ﷺ الذي أمرنا أن نعض بالنواجذ على سنة خلفائه الراشدين. رأى عمر ﷺ التفاوت الطارئ على المسلمين في زمانه، فخاف أن يتفاقم، فقال قبل موته: "لئن عشت إلى قابل لآخذن من أموال أغنيائكم ولأردنها على فقرائكم" وما خصص رضي الله عنه مالا دون مال. ففي عزمته هذه ﷺ باب مفتوح لنا نحو عدل اجتماعي شامل. باب لنزع الملكية الظالمة وإعادة تنظيمها.

2- احترام الإرث وفرائضه كما حددها كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد الأئمة. والإرث من أهم وسائل توزيع الملكية ومنع تركزها. نجد في كتاب الله تعالى منفذا لتوزيع الأموال الموروثة في الوصية المشروعة بالثلث، المندوب إليها في آيات الإنفاق، وفي قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾(النساء).. فالوصية للوالدين والأقربين وكافة فقراء المسلمين تترك للمتطوع بماله من بعده ابتغاء مرضات الله. أما رزق من حضر القسمة من الأصناف الثلاثة فأمر موجه للأمة. وللإمام أن يجتهد مع علماء المسلمين للاستدلال بالآية على وجوب هذا الرزق، خاصة في الثروات الواسعة التي تفيض عن حاجات الورثة، بكيفية ولا يضر رزق الأصناف المذكورة منها بوظائف الادخار والاستثمار والإنتاج. فإن توزيع الثروات على المحتاجين المضطرين، وتخصيص ما يصلهم من خير في النفقات الاستهلاكية، قد يعوق الاستثمار الضروري لإنتاج ثروات مستقبلة تسد حاجات الأمة الدائمة.

3- تنظيم جمع الزكوات وتوزيعها، بأن تكلف الدولة جهازا من العاملين عليها مستقلا، يقوم بجبايتها، وإنفاقها في مصارفها المذكورة في القرآن. وتلحق بالزكوات الصدقات التطوعية، ليمول نظام أمن اجتماعي يضمن حاجات الفقراء والمساكين والعاملين على زكاة، وليمول نظام لتشجيع الدعوة وتأليف الجماعة بتأليف القلوب.

فما كان من أصول ثابتة بالقرآن كالأصناف الثمانية الذين توزع عليهم الزكاة ما لنا حق إلا في تحديد من يستحق وتصنيف الأصناف. وما كان من أصول نبوية مثل قسم زكوات كل جهة في محتاجي تلك الجهة، فلا تنقل الزكوات إلى جهة غيرها حتى يحصل الاكتفاء المحلي، نفرع اجتهاداتنا، لنعرف حد الاكتفاء المطلوب، في إطار توزيع عادل بين كل المسلمين، عبر الجهات والأقطار. إن الفروق استفحلت بين المسلمين استفحالا شنيعا، وغاب عنا أن دار الإسلام بلد كل المسلمين، وثروة أرض الإسلام ملك لكل المسلمين.

4- التقلل ومحاربة التبذير. أصبحنا شعوبا مستهلكة بحساب الإجمال، وإن كانت الأغلبية العددية من المسلمين تعيش في ما يسميه لسان العصر بالفقر المطلق بحساب الإجمال نعيش فوق مستوانا بكثير. نستهلك طعاما لا ننتجه، ويباع لنا بالثمن الغالي من النقد ومن استقلال إرادتنا.

تطاول في البنيان والمتاع. طاقات تذهب سدى. أخلاق تنحل، وعزائم سمينة تنهار، وأخرى إلى جانبها جائعة غرثى. نفقات على المعصية والإثم، وحقوق الله ضائعة.

نهانا الله عن الترف والتبذير، وجعل المبذرين إخوان الشياطين.

5- إن الله تعالى شرع للمسلم أن يشبع حاجاته في المأكل الكافي، والملبس النظيف الواقي، والمسكن المؤوي. كل ذلك في غير كلفة ولا تزيد على الحاجة.

شرع الله للمسلم أن يتمتع بنعم الله وزينته التي أخرج لعباده. لكنه حرم عليه أن يبيت شبعان وجاره جائع. فمن شكر نعم الله وطيباته أن يقسم الخير الفائض على المحتاجين. ومن كفرها صرفها في الترف المطعمي وفي المحرمات.[1].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ { عَنِ النبيﷺ: "مَنِ احْتَكَرَ طَعَاماً أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى"[2].

(1) المنهاج النبوي، ص340-346.

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند سيدنا عبد الله بن عمر { .

فإذا نقلنا الحديث الشريف من الحالات الفردية، التي تتعلق فيها مسئولية المعصية بأهل العرصة، إلى الحالة العامة والتكوين العام لمجتمعاتنا وأنظمة علاقاتنا داخل الأقطار الفتنوية وفيما بينها، فإن ذمة الدولة الإسلامية لا تبرأ من المعصية الشديدة إن لم توفر الظروف التي لا تسمح أن يبيت هذا متخما وهذا جائعا.

رتب علماؤنا درجات الإشباع ثلاثة مراتب:

أ-الضروريات، وهي الحد الأدنى الذي لا يمكن العيش المادي إلا به من طعام وكسوة ومسكن.

ب- الحاجيات، وهي ما فوق الضرورة من أسباب توسع المعاش.

ج- الكماليات، وهي الطيبات التي يمكن الاستغناء عنها.

والتقلل المطلوب لأمة تسعى إلى الوحدة والكفاية والقوة يلزم أن يتجسد في مجتمع يكفل الضروريات لكل المسلمين، ويجعل وسائل إرضاء حاجيات العيش الكريم مكافأة للجهد والنشاط والإنتاج. لكن من الضروري ضبط الجهاز الاقتصادي لكيلا تستمر عادات الترف، ثم لكي يتمتع المسلمون كلهم بالأمن المعاشي على مستوى كريم لا مقتر قاس ولا مترهل متنعم[1].

عن معاذ بن جبل ﷺ عن سيدنا رسول الله ﷺ قال: لما بعثه إلى اليمن قال: "إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين".[2]

وهنا نتساءل: لماذا يتهاوى اقتصاد المسلمين في وضعهم الحالي؟ الجواب نجمله في النقاط الآتية:

أولا: لغياب منهاج اقتصادي واضح، فينتج التردد في رسم الأهداف والخطة والمراحل والتنفيذ.

(1) المنهاج النبوي، ص340 وما بعدها.

(2) مسند الإمام أحمد، باب حديث معاذ بن جبل ﷺ.

ثانيا: لتبعية اقتصادياتنا للغرب أو للمصالح الرأسمالية. فمخططو الجاهلية هم يفكرون ويأمرون.

ثالثا: لتمكن سفهاء الأمة من أموالها، يتطاولون في البنيان ويهربون.

رابعا: لاضطرار الذئاب والثعالب إلى حام يحمي مناصبهم، فهم له أولياء لا هَمَّ لهم إلا نفوسهم أن تستعلي وتستمر وتزداد انتفاخا. وللأمة تقدم إنجازات للفخفخة والترف يتمتع بها- وبئس المتاع – الصنائع والأحباب والأذناب، بينما يموت الشعب جهلا ومرضا، وجوعا وغيابا عما يكاد له، ويراد به.

خامسا: جماع الأمر كله. وملخص النقط الأربع، تهافت طبقة مستكبرة على المال والسلطان، واستبدادها بهما على ظهر الأمة، وبمساعدة الجاهلية.

فدواء اقتصاد المسلمين لن يتم بوصفات اقتصادية وسياسية صرفة...

لا بد لنا من العلاج الحاسم كما لا بد لنا من التغيير الجذري.

والعلاج الحاسم هو الإيمان بالله ربا وترقب لقائه، ومراقبة اطلاعه على حركاتنا، ثم تنفيذ أوامره بدقة بإخلاص، بزهد في الغائية الدنيا[1].

فلا يمكن أن تجتمع الأمة ولا أن تتوحد ولا تقوى ولا يتكتل اقتصادها ولا تجد موطئ قدم في العالم السوقي ومنافساته وقوانينه الغابية إلا بالإسلام وشريعة الإسلام.

← في الصناعة: ﴿... وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ... ﴿٢٥﴾﴾ (الحديد).

ح) المجال العلمي والتفكيري: حث القرآن الكريم على طلب العلم، وجعل الذين أوتوا العلم فوق الجاهلين، ﴿... يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ... ﴿١١﴾﴾ (المجادلة، وميزهم بالدرجة الرفيعة ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾(الزمر).

(1) الرسالة العلمية، ياسين، ط1/ مارس 2001، مطبوعات الهلال وجدة، ص 79-80.

أما في مجال التفكير فقد دعا إلى التفكير في خلق السماوات والأرض والكون كله ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (آل عمران)، وحث على السير في الأرض لاكتشاف سنة الله في خلقه: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (العنكبوت). وتكرر هذا الخطاب مرات.

وقس على ذلك شتى المجالات...

2. السنة النبوية العطرة:

﴿ ...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾(الحشر).

السنة هي الأساس الثاني -بعد القرآن- للتشريع، فقد بينت وفصلت ما سبق ذكره من المجالات... وسيدنا رسول الله ﷺ هو المعلم الأول وأول من أرسى دعائم العمران الأخوي مباشرة بعد وصوله إلى المدينة المنورة، فآخى بين المهاجرين والأنصار، ووضع أعمدة الدولة الإسلامية... كما كان أسوة وقدوة للناس كافة ورحمة للعالمين، فبنى صرح العمران الأخوي وشيد أركانه، وبهرت أنواره العالمين... يقول ربنا تقدست كلماته: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب).

3. لغة القرآن:

إن اللغة العربية -لغة القرآن- هي الوعاء، هي الرحم، هي الجسم، أسهمت في الحفاظ على الشخصية المستقلة للمسلمين، وكونت أفراد العمران، استنادا إلى مبادئ الإسلام التي قررت نزول القرآن بلسان عربي مبين.

قال ربنا تبارك وتعالى:

﴿ ...وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (النحل)

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (الشعراء)

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾(يوسف)

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(الزمر)

﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾(فصلت)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ (الشورى)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾(الأحقاف).

عن ابن عباس { قال: قال رسول الله ﷺ: "أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي".[1]

وفي مجتمع العمران الإسلامي الأخوي، المسبوق بتربية وتزكية وتعليم، يستنبط المسلمون دستور سلوكهم فيما بينهم وعهود تعاملهم مع الخَلق الدولي، والخلق الطبيعي، والبيئة المشتركة، من القرآن كل القرآن، ومن السنة كل السنة.

(1) المستدرك على الصحيحين للحافظ الحاكم، باب ذكر فضائل القبائل، المعجم الكبير والأوسط للإمام الطبراني، وشعب الإيمان للإمام البيهقي، باب أحبوا العرب لثلاث.

أصول العمران الأخوي

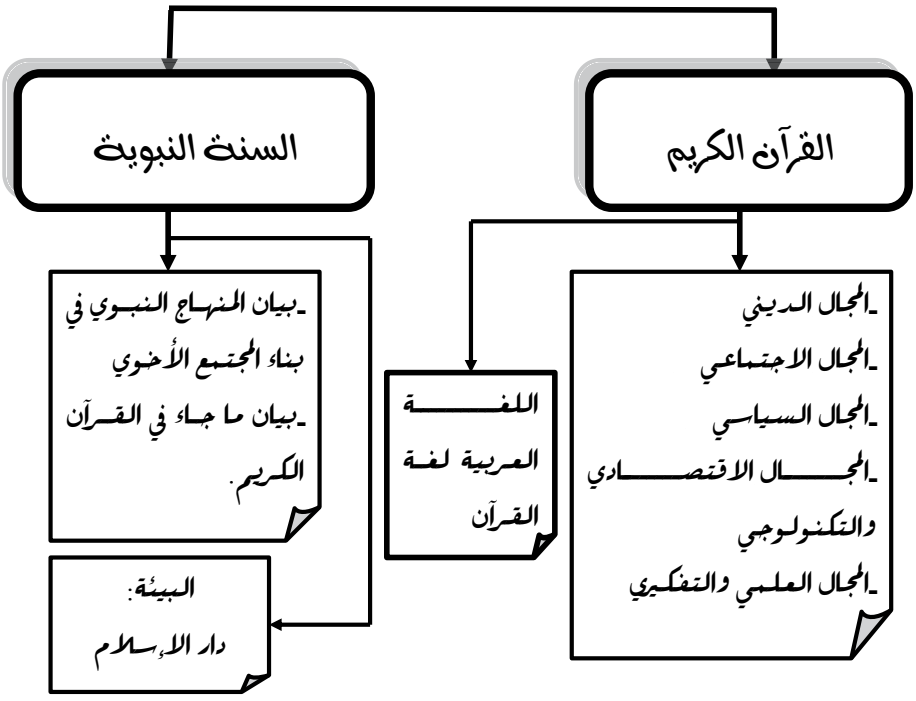

المبحث الرابع

خصائص العمران الإسلامي الأخوي

1. الرابطة القلبية بين المسلمين:

وهذه أم الخصائص سِمَتُها النفسية السلوكية الإقلاع عن حب الدنيا والتحررُ من العبودية للهوى. وبهذا الإقلاع والتحرر ينقلب موقف المسلم رأسا على عقب من المِلكية الأنانية لمتاع الدنيا، وتنقلب ذهنيته، وينسلخ من عادات المنكر، ومن الشرك بالآلهة التي يعبدُها – الإنسان– المشرك والغافل من دون الله: الشحِّ والمصلحةِ الخاصةِ والربحِ واللذةِ والمالِ والجاهِ[1].

عن هذه الرابطة يتحدث هذا الحديث النبوي الشريف، عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[2].

فبدون هذه الرابطة القلبية يبقى الحديث عن العمران الأخوي حديثا غير ذي معنى، وكلمة تلوكها الألسن الغافلة.

والعمران الأخوي المثالي المنشود هو الذي تسوده بواعث ﴿ ...وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ...﴿٢٩﴾ ﴾(الفتح). قطبُ الشدة على أعداء الدين مغناطيسية معطلة بدون قطب الرحمة. أنتِ يا أختَ الإيمان قطب الرحمة إن كان لبأس الرجال مجال. ثم تزاحمينهم هناك كما زاحمت أم عمارة بضرباتها في أُحُد أبطال الإسلام.

وذلك المجتمع لا يرتجل، ولا تمطره السماء بمجرد إعلان الحكم الإسلامي. إنما يُبنَى لَبِنَةً لَبِنَةً، ويتألف عضوا عُضوا، وينشَأ جيلا أفضل من جيل. وإلى المؤمنات وَكَلَ رب

(1) العدل: الإسلاميون والحكم، ص180.

(2) الجامع الصحيح للإمام مسلم رحمه الله، باب تراحم المؤمنين تعاطفهم، ح4685. والمسند للإمام أحمد رحمه الله، باب حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. وغيرهما.

الخلق سبحانه تربية الأجيال. فأحسنت محسنة إلى نفسها، وبنَتْ آخرتها، وخطت خطوات قرب من ربها بإحسان ما وُكِل إليها. ما بناء المجتمع الإسلامي خطبة قولية يكذب بها الناس على نفوسهم وعلى الناس، بل هي خطوة عملية إثر خطوات. خطوات على أرض الحياة لا في خيال المُنى[1].

عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النبي ﷺ قَالَ: " لاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا،وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ،وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ ". قَالَ إِسْمَاعِيلُ فِي حَدِيثِهِ " وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ التَّقْوَى هَا هُنَا التَّقْوَى هَا هُنَا التَّقْوَى هَا هُنَا ". يُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثاً " بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ""[2].

يخاطب ربنا جل جلاله المؤمنين والمؤمنات في آيات من سورة الحجرات يعلمهم الآداب الإسلامية العامة بين المومنين والمسلمين. افتتح السورة بتعليمهم أن لا يُقدموا بين يدي الله ورسوله، أي أن لا يشترعوا من الدين ما لم يأذنْ به الله عز وجل ورسولهﷺ، وعلمهم أن يتقوا الله جل شأنه كما أمرهم في كتابه وسنة نبيه ﷺ، وأن يغضوا أصواتهم عند رسوله المصطفى توقيرا وتعظيما واحتراما. وأن يُراعوا حُرمته وحرمة بيته الشريف، لأن من الأعراب الجفاة الغلاظ القساة من كان يناديه من وراء الحجرات. اخرج إلينا يا محمد!

آداب إسلامية مع الله تعالى ورسوله المصطفى هي الدعامة واللبنة الأساس. وعن هذه الدعامة تتفرع الآداب بين المسلمين والمؤمنين فصلتها الآيات من سورة الحجرات تفصيلا، وكملها التعليم النبوي المحمدي والتربية النبوية.

أمهات هذه الآداب في سورة الحجرات عشْرٌ:

1- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الحجرات): أن لا نصدق فاسقاً أو فاسقة جاءتنا بنبإ حتى نتبين صحتَهُ، مخافة أن نؤذِي أحدا عن جهل وسوء ظن.

(1) تنوير المؤمنات، ياسين، ط/ 1، مطبوعات الأفق الدار البيضاء، 2/ 61-62.

(2) مسند الإمام أحمد باب مسند أبي هريرة رضي الله عنه. صحيح الإمام البخاري، باب لا يخطب على خطبة أخيه، وصحيح الإمام مسلم، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر. وغيرهما

2- ﴿ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ ﴾ (الحجرات): الاعتراف بفضل الله ومنته علينا إذْ حبب إلينا الإيمان، وكَرَّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان.

3- ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ ﴾(الحجرات): الإصلاح بين المؤمنين والمؤمنات في الخصام والقتال.لا أن نضرم النيران.

4- ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠ ﴾ (الحجرات): أن نرعى حقوق الأخوة الإيمانية من تواصل وتحاب وتعاون على البر والتقوى... وإزالة الحواجز التي تقف دون تحقيق هذه الحقوق الأخوية.

5-6-7- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ ﴾(الحجرات): أن لا يَسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن عند الله، وأن لا يَلْمِزَ[1] بعضنا بعضا، وأن لا نتنابز بالألقاب، فيُسمي بعضنا بعضا بأسماء لا يحبها.

8-9-10- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢ ﴾(الحجرات): أن نتجنب كثيرا من الظن. فالمؤمنون الكمل والمؤمنات الكاملات يسبقون حسن الظن بالله عز وجل وبعباده. مع الحذر.قال مولانا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "لستُ بالخَب ولا الخَبّ يخدعني".

(1) اللمز: أن يطعن بعض الناس على بعض، وأن يغتابوهم وينقصوا من قدرهم.)ويل لكل همزة لُمزة(. (بداية سورة الهمزة) تهديد ووعيد. نعوذ بالله.

عن سعيد بن المسيب ﷺ، قال وضع عمر بن الخطاب ﷺ للناس ثمان عشرة كلمة حكمة كلها قال: "ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً، ومن كتم سره كانت الخبرة بيده، ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به وعليك بإخوان الصدق فإنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء ولا تهينوا بالحلف بالله فيهنكم الله، ولا تسأل عما لم يكن فإن فيما كان شغلاً عما لم يكن ولا تعرض فيما لا يعنيك وعليك الصدق وإن قتلك الصدق، ولا تطلب حاجتك إلى من لا يحب نجاحها لك، واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله ولا تصحب الفجار لتتعلم من فجورهم، وذل عند الطاعة واستعص عند المعصية وتخشع عند القبور استشر في أمرك الذين يخشون الله فإن الله تعالى يقول: إنما يخشى الله من عباده العلماء[1]".

وأن لا نتجسس، وأن لا يغتاب بعضنا بعضا.

هذه هي أمهات الآداب الإسلامية التي ابتدأت بها سورة الحجرات، وبعدها خاطب الله سبحانه وتعالى الإنسان، من حيث هو إنسان، يدعوهُ لرفق الإسلام وظل الإسلام الذي يتفيأ بظلاله، ويستضيء بنوره، قال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ (الحجرات).

ترتيب آي القرآن حكمة يكتشفها من يتفكر ويتدبر. جاءت آية الدعوة لِتعارُف الناس وتفاضُلهم وتكارمهم بالتقوى بعد آيات الآداب العامة، وقبل الإخبار عن حال الأعراب الذين قالوا آمنا، وهم إنما أسلموا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبهم. كأن ترتيب الآيات يشيرُ إلينا مِنْ طَرْفٍ لطيف لنستعِدّ بأجمل ما فينا من آداب نستقبل بها الوافد علينا من بني الإنسان. وكأن الترتيب يقول للوافد: لا تحكم على خير أمة أخرجت للناس بتصرف الجفاة من المسلمين إسلاما أعرابيا، بل تخلق بالآداب الإسلامية الرفيعة مع المؤمنين كاملي الإيمان[2].

(1) التدوين في أخبار قزوين، للرافعي.
(2) تنوير المؤمنات، 2/ 48-49.

كمّل سيدنا رسول الله ﷺ الآداب الإسلامية العامة فعلّم أمته الأخلاق النبيلة والخصال الحميدة، والحقوق المتبادلة بين المسلمين. عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ" :حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ".(1)

وفي حديث آخر عَنِ الْبَرَاءِ بن عازب ﷺ قَالَ: "أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ، أَمَرَنَا: بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، وَرَدِّ السَّلاَمِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ. وَنَهَانَا عَنْ آنِيَةِ الْفِضَّةِ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ، وَالْحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالْقَسِّي(2)، وَالإِسْتَبْرَقِ ".(3)

وجعل رسول الله ﷺ حُرمة المسلمين من حُرمة الله، وإجلالهم من إجلاله، وأمر بصون كرامتهم واحترامهم. عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله "ﷺ :إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه(4)والجافي عنه(5)، وإكرام ذي السلطان المقسط".(6)

وقد شدد سيدنا رسول الله ﷺ النكير على من يُخل بكرامة المسلمين ويتخلى عن واجبه في احترامهم والإحسان إليهم وإماطة الأذى من طريقهم، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ } قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ "(7) .

---

(1) رواه الأئمة: البخاري في صحيحه باب الأمر باتباع الجنائز، ومسلم في صحيحه باب حق المسلم للمسلم رد السلام، وابن ماجه في سننه باب ما جاء في عيادة المريض، والإمام أحمد في مسنده مسند أبي هريرة وغيرهم رحمهم الله.

(2) القسي: ثياب من كتان مخلوط بالحرير منسوبة إلى قرية قس بمصر.

(3) متفق عليه: الإمام البخاري في صحيحه باب الأمر باتباع الجنائز، والإمام مسلم في صحيحه باب تحريم استعمال إناء الذهب، وغيرهما رحمهما الله.

(4) الغالي فيه: المجاوز حده.

(5) أصل الجفاء ترك الصلة والبر وجفاه أبعده وأقصاه.

(6) رواه الأئمة: سنن أبي داود باب في تنزيل الناس منازلهم، الأدب المفرد للإمام البخاري باب إجلال الكبير، سنن البيهقي باب النصيحة لله ولكتابه، مصنف ابن أبي شيبة باب الإمام العادل، وغيرهم رحمة الله عليهم.

(7) رواه الأئمة: الترمذي في سننه باب ما جاء في رحمة الصبيان، عبد بن حميد في مسنده مسند ابن عباس { ، البخاري في الأدب المفرد باب إجلال الكبير.

وأمر النبي عليه الصلاة والسلام المؤمنين والمؤمنات أن لا يحط مِن مكانة بعضهم بعضا قولا أو فعلا، وأن يفْسَحُوا في المجلس للقادم، وأن يبتسموا في وجه الناس، وأن يقولوا الكلمة الطيبة، وأن لا يحقِروا من المعروف شيئا من خِدمة صغيرة يقدمونها، أو شفاعة، أو قضاء حاجة. عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺقَالَ: قَالَ لِي النبيﷺ: " لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ".[1]

الرابطة الإيمانية المقصودة تلك المشار إليها في قوله تعالى في حق الأنصار ﷺ، قال ربنا جل جلاله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحشر).

لو قال: تبوؤُا الدار فقط، لكانوا كباقي المجتمعات التي تحكمها روابط مصلحية دنيوية محضة، سرعان ما تتبخر وتذهب أدراج الرياح، لكن قال: ﴿... تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ...﴿٤﴾ ﴾، تبوء ثنائي: تبوؤُا الدار وتبوؤُا الإيمان، هكذا كان الأنصار- رضي الله عنهم- وقوا شح أنفسهم وخرجوا من دهاليز نفوسهم المجبولة على الشح إلى فضاء عبودية الله تعالى ومحبته، فنصروا النبي ﷺ وإخوانهم المهاجرين وآووهم وأنفقوا عليهم وأحبوهم، هذه هي الأخوة الصادقة الحقة التي أثنى عليها الله عز وجل، ودعانا إليها لبلوغ المرام.

2. الجمع بين الثنائيات:

لقد جمع هذا العمران الأخوي بين:

-الدنيا والآخرة: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾(النساء). ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (القصص).

(1) صحيح الإمام مسلم باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، مسند الإمام أحمد حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، صحيح ابن حبان فصل من البر والإحسان.

- والموت والحياة: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ (الملك).

- والثبات والتطور: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (الأنعام). ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الرعد).

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (العنكبوت).

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الأحزاب).

﴿ ... ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (فاطر).

- والأرض والسماء: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (البقرة)

-والفردية والجماعة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (آل عمران)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات)، جماعات وشعوب لكن يجمعها ويوحدها الإسلام.

- والعدل والإحسان: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل).

والوحي والعقل: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ ﴾ (الرعد).

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ ﴾ (الإسراء).

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ ﴾ (الشورى).

- وعالم الغيب وعالم الشهادة: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٤٦ ﴾(الزمر).

-والروح والمادة:﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾(الإسراء).

-والذكر والجهاد:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ ﴾(الأنفال)

-وبين الظاهر والباطن: ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ١٢٠ ﴾ (الأنعام).

-والدعوة والدولة: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١ ﴾ (الحج).

هذا إضافة إلى الشمولية التي تميز بها هذا العمران، على عكس الحضارة الغربية والحضارات السابقة حيث إذا رمت بثقلها على جانب أهملت جانبا آخرا كما في إهمالها بل لكفرها بالآخرة والمعاد والحياة بعد الموت، وإهمالها للدين، وسعيها وراء سراب الشهوات والمغريات وملذات الحياة الدنيا وزينتها.

فالعمران الإسلامي؛ عمران شمولي وواقعي وإنساني وعالمي، يحمل رسالة الإسلام لينشرها في العالمين، لا يفرق بين أسود وأبيض ولا بين عجمي وعربي، ولا بين السيد

والعبد، ولا بين المرأة والرجل، الكل سواسية، وصدره مفتوح لكل من أراد الانضواء تحت لواء الإسلام، أيا كان موقعه في الزمن والمكان.

3. العطاء المستمر:

ومن خصائص هذا العمران الإسلامي كونه معطاء يبني ولا يهدم، يصلح ولا يفسد، يسعى لتحقيق الخلافة الكاملة في الأرض، وتطهير الأرض من كل ما يصد عن الله ﷻ.

ويوضح النبي ﷺ هذا العطاء المستمر في هذا الحديث: عن أَنَس بْن مَالِك ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ" (1).

الفسلة أو الفسيلة هي الغرسة من النخل. الحديث يحث على التسبب فيما ينفع الناس حتى لا يشغلنا عنه شاغل مهما عظم. والأحاديث النبوية في باب الحض على العمل اليدوي، والاحتراف، والتجارة المبرورة، والزراعة، كثيرة. وكلها تفصل أمر الله لنا سبحانه إذ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ... ﴿٢٦٧﴾ ﴾ (البقرة)، وأمره عز وجل لنا بعمارة الأرض بما يخدم مقاصد الإسلام، حين سرد لنا القرى الكافرة التي عمرت الأرض عمران طغيان وزينة وتكاثر، فأعمتهم وفرة ما لديهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة عن طاعة الله، وإقامة العدل، وتصديق النبيئين، وإنصاف المستضعفين (2).

وفي حديث آخر: عَنْ أَنَس بْن مَالِك ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِم يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ" (3).

أما الحضارة الغربية -وسابقاتها من الحضارات- التي تخنقها رؤية سوداوية متشائمة للوجود والمصير والسعي البشري، فإنها تجوس في حناديس ظلام الجاهليات والفوضوية والعبثية اللاتي تهوي بها في مكان سحيق.

(1) المسند، للإمام أحمد رحمه الله، باب مسند أنس بن مالك رضي الله عنه.
(2) المنهاج النبوي، ص333.
(3) رواه الإمام البخاري في صحيحه، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، ورواه كذلك الإمام مسلم في الصحيح، باب فضل الغرس والزرع، والإمام أحمد في مسنده وغيرهم رحمهم الله.

4. الأصالة والتجديد:

عمران إسلامي أخوي يجمع بين الأصالة والتجديد، قادر على الاجتهاد على نور الإسلام، قادر على حماية ذاته من التفكك والانحلال، قادر على وضع كل القيم والخبرات لدى الحضارات الأخرى في محك الإسلام للاستفادة من سليمها الموافق لمبادئ الإسلام، والرمي بالباقي في مزابل الأفكار الضالة.

يقول الدكتور عماد الدين خليل: "إنه منذ اللحظات الأولى أخذ الإسلام على عاتقه مهمة تكوين جماعة مؤمنة "متحضرة" تعرف كيف تحقق التقابل الفعال بين أصالة الذات العقائدية وبين الانفتاح على معطيات الأمم والشعوب. (...) وفي فترة قصيرة تمكن الإسلام من أن يحول العرب إلى أمة "متحضرة" خرجت إلى أطراف الأرض تحمل علمها الجديد ورؤيتها المتوحدة لكي ترسم للعالمين مصيرا جديدا"[1].

إنه عمران أخوي أصيل، قادر على مواكبة المستجدات والاستجابة للتحديات، متوازن وشامل وجامع وواقعي وبناء، يسعى لإخراج الناس من ظلام الأوثان إلى نور الإيمان، ومن عبادة الخلق إلى عبادة الخالق، ومن ظلم الأديان إلى عدل الإسلام، لو كان للإسلام إلا هذه المزية لكفاه فخرا وشرفا.

تلك إذن هي شرائط إحلال العمران الأخوي وبدايته. وما دمنا قد تحدثنا عن الطريق إلى العمران، فإنَّا نتم كلامنا في الحديث عن دعائمه وأعمدته.

(1) انظر كتابه: حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، دار ابن كثير، ط1/ 1426-2005 ص73-74.

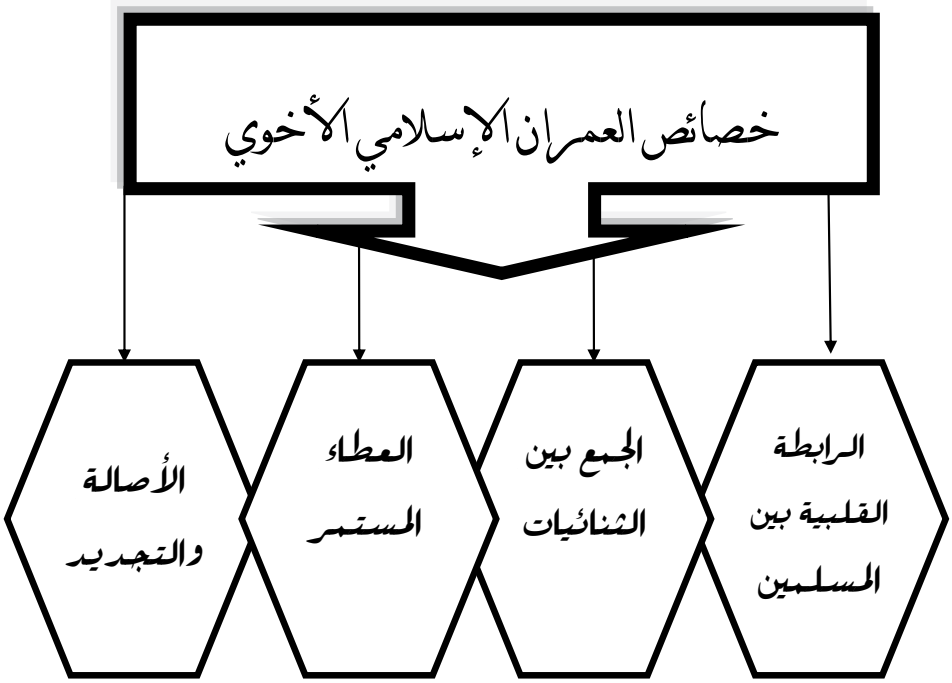
خصائص العمران الإسلامي الأخوي
الرابطة القلبية بين المسلمين
الجمع بين الثنائيات
العطاء المستمر
الأصالة والتجديد

المبحث الخامس

دعائم العمران الإسلامي

1. العقيدة الصحيحة:

عقيدة المؤمن هي رابطته، وهي قومه، وهي أهله، وهي كل شيء، عليها يجتمع البشر، لا على ما تجتمع البهائم من كلأ ومرعى وقطيع وسياج... إنها أهم دعامة للعمران الإسلامي الأخوي؛ العقيدة السليمة المستمدة من وحي السماء، وبهذا يتجاوز الحضارة الغربية الغارقة في أوحال الماديات، لا ترى إلا ما تحت قدميها. إن هذا العمران يعبر عن ذلك اللقاء بين السماء والأرض بين الدنيا والآخرة بين الدين والسياسة... وعلى ضوء ذلك يخطط لعمله وفق ما تحدده العقيدة في دائرتها لا خارجها.

وإن أهم ما تميز به هذا العمران أنه قام بكل ما قام به من عمارة الأرض وهو يستظل بظل العقيدة الصحيحة. بل ينطلق من منطلقها، ويحقق مقتضياتها.

فمنذ "لحظات الفجر الأولى، كانت العقيدة بالنسبة للإنسان المسلم والجماعة المسلمة بمثابة الدافع والهدف..فهي تحركهم من الداخل بعطائها الدائم ومطالبها المستمرة، وهي تناديهم من الخارج ليتحركوا إلى الأهداف الكبيرة التي جاء بها هذا الدين لكي يجعل العالم يتحقق بها، فيكون عالما جديرا بالإنسان الذي كرمه الله"[1].

فالأساس الأول لهذا العمران هو التوحيد الذي جاء به الإسلام ليعيد إليه صفاءه الأول، وليأخذ بيد الناس إلى ربهم، وليخرجهم من ظلمات الشركيات وكهوف العقائد المنحرفة الضالة إلى نور التوحيد والعقيدة السليمة ليعبد الناس ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم ولا يجعلوا معه أندادا، يقول الله جل وعلا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (الإخلاص). إنها أروع صورة للعقيدة الإسلامية الصحيحة التي بها اهتدى الناس إلى

(1) حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص72.

سبيل الرشاد، وبها تبوأوا المكانة الرفيعة في العالم قبل أن يزيغوا عن جادة الصواب. إنها الطاقة الخالدة لانطلاق العمران.

ولذلك، "فإنه ما من خطوة في تاريخ البشرية حررت العقل، وكرمته، ووضعته في موقعه الصحيح كهذه الخطوة: تحويل التوجه الإنساني من التعدد إلى التوحيد، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن عشق الأحجار والأصنام والتماثيل والأوثان إلى محبة الحق الذي لا تلمسه الأيدي ولا تراه العيون.."[1].

إن العقيدة الصحيحة روح العمران، وما أصاب الأمة الإسلامية اليوم من تخلف وصَغَار، ومن نكبة قاصمة لظهرها، وتَتَابُع[2] الخطوب عليها، يرجع كل ذلك إلى غيبة تلك الروح من جسد الأمة، فتضعضع ذلك الكيان، وأصبحت الأمة خائرة جامدة متوعكة مريضة..

إن الإرادة القوية التي تهدف إلى البناء هي التي خارت وضعفت، بسبب الداء العضال الذي أصابها؛ "داء الأمم"[3] الذي أكل أحشاء الأمة ونخر كيانها، فأصبحت قصعة توكل وتداعت عليها الأمم من صهيونية حاقدة وصليبية كافرة وعدو لا يرعى فيها إلاًّ ولا ذمة، فنكل بها وأفنى قوتها، وأزال استقلالها، وفرق شملها، وزرع الشقاق في أرضها.

لقد كان مؤرخنا الكبير ابن خلدون رحمه الله حكيما لما جعل الشؤون السياسية والاقتصادية... والعلم في دولة مسلمة تبعا للشأن الديني -وهذا هو الأساس-، وجعل

---

(1) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، الدكتور عماد الدين خليل، الناشران: الدار العربية للعلوم، والمركز الثقافي العربي، بيروت، ط1/ 1426هـ2005-م، ص18.

(2) تتابعت المصائب على فلان: "نقول تتايعت (بالياء) لأن التتابع مختص بالخير والصلاح، أما التتايع فهو مختص بالشر والمنكر". انظر: تقويم اللسانين، للناقد اللغوي والأديب الكبير الشيخ أحمد حدادي المغربي، مطبعة الجسور-وجدة، ط1/ 2011، ص18.

(3) كما جاء في الحديث: عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"، رواه الإمام أبو داود-رحمه الله- في سننه، باب في تداعي الأمم على الإسلام.

العقيدة الحقيقة الأولى لهذا الدين الحنيف، في ضوئها درس ما حل بالدولة من مصائب وفساد، وركود العمران، وانتقاص الصنائع واختلال طرائق العلم، وتلاشي ملكات العلوم وغير ذلك، فوجد أن كل هذه الأدواء والأمراض راجعة إلى اختلال العقيدة دعامة العمران البشري والدولة القائمة.

بل هذه الأدواء راجعة إلى داء الأمم الذي أصاب الأمة، وحول نظام حكمها من خلافة راشدة على منهاج النبوة، إلى ملك عاض ثم جبري.

2. المحبة:

قال الحبيب المصطفى ﷺ فيما رواه سيدنا أبو مالك الأشعري رضي الله عنه: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ". فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نبي اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا نبي اللَّهِ: نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ انْعَتْهُمْ لَنَا - يَعْنِى صِفْهُمْ لَنَا -، فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِسُؤَالِ الأعرابي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا فِي اللَّهِ، وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُوراً وَثِيَابَهُمْ نُوراً،يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَفْزَعُونَ،وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ" (1).

عَنْ أَبِى ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ " :أَتَدْرُونَ أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟". قَالَ قَائِلٌ: الصَّلاَةُ وَالزَّكَاةُ. وَقَالَ قَائِلٌ: الْجِهَادُ. قَالَ: "إِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ"(2).

عن زيد بن أسلم قال: هلك عثمان مظعون رضي الله عنه فأمر رسول الله ﷺ بجهازه، فلما وضع في قبره، قالت امرأته: هنيئا لك أبا السائب الجنة. فقال رسول الله ﷺ: " وما علمك

(1) رواه الإمام أحمد باب حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، وأبو يعلى بإسناد حسن. والإمام الحاكم وقال: صحيح الإسناد -رحمهم الله-.
(2) مسند الإمام أحمد حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

بذلك؟" قالت: كان يا رسول الله يصوم النهار ويصلي الليل. قال: "بحسبك لو قلت كان يحب الله ورسوله"[1].

فالدعامة الأولى التي بدأها الحبيب المصطفى ﷺ هي دعامة الحب في الله، ولم يكن المسجد إلا خادما لهذه الدعامة الأولى، فهي رأس مال الأمة، الذي حققت بها انتصارات باهرة، وفتوحات كثيرة.

فالمحبة مَجْلاة للقلوب من الصدأ والكسل، ومَدْعاة لتحريك الهمة للجد والعمل، وهي عماد العمران لولاها لما استقام البناء على وجه الأرض لحظات، إنها السبيل الذي يخرجنا من ذلك المستنقع الآسن، والدرك الهابط، والظلام البهيم، السبيل الموصل إلى العمران الأخوي؛ محبة الله ورسوله والصالحين المصلحين المجددين من بعده.

إن الحب جوهر الحياة.. إن الحب يولد في النفوس طاقة لا تعدلها طاقة أخرى في الكون، ولا تقاربها.

وإن المتتبع لآثار المحبة فيما أمر به الشارع ليرى عجبا من أمرها، حتى إن الرجل ليحب أخاه في الله، فيحبهما الله، ويرفعها مكانا عليا، ويجلسهما على منابر من نور يغبطهم عليها النبيون والشهداء يوم القيامة.

فلابد للحب كي يصفو ويدوم أن يكون خالصا، صافيا نقيا، وبكلمة واحدة: أن يكون لله رب العالمين[2].

فما بال الناس يرتكسون في الحمأة الوبيئة والعلاج بين أيديهم؟ إن المحبة هي العلاج المنسي في عالمنا الإسلامي المعاصر، يتسارع المسلمون إلى فجاج وإلى جهات وإلى أساليب ووسائل شتى بحثا عن العلاج، والعلاج بين أيديهم وهم عنه تائهون، تلك والله هي المصيبة الكبرى:

---

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم بن عبد الله الأصبهاني، (ت430هـ)، دار الكتاب العربي، ط4/ 1405هـ1985-م. 1/ 106. ترجمة رقم 11(عثمان بن مظعون ﷺ).

(2) قصتي مع التصوف، خالد محمد خالد، إعداد وتقديم: محمد خالد ثابت، المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3/ ذو الحجة 1426هـ يناير2006م. ص53 وما بعدها.

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

فالمحبة لله ولرسوله ولوُرَّاثه من بعده، ليست كلمات تلهج بها الألسن، بل هي طاعة وموافقة واتباع للمحبوب، أما إذا كانت مجرد دعوى فسرعان ما تتخطفها الأهواء، وتتصيدها الشياطين، فتتمزق هذه الدعوى وتذوب. إذ لا يمكن أن نجد محبة دون طاعة واتباع. يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾(آل عمران)، وقال جل وعلا: ﴿ ...وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ... ﴿٥٤﴾ ﴾ (النور)، وقال عز من قائل: ﴿ ... فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾(النور).

ولله درُّ الإمام الشافعي ﷺ القائل :

تَعْصِي الإِلَه وأنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ هَذَا مَحَالٌ في القِيَاسِ بَدِيعُ

لو كان حُبُّكَ صَادقًا لأطعتهُ إنَّ المُحِبَّ لمن يُحِبُّ مُطِيعُ[1]

فالمحبة إذا قويت تعدت إلى كل ما يكتنف بالمحبوب، ويحيط به ويتعلق بأسبابه، وذلك ليس شركة في حب الله تعالى، فإن من أحب رسول المحبوب لكونه رسوله وكلامه لكونه كلامه، ومن ينتمي إليه لكونه من حزبه لم يجاوز حبه إلى غيره، بل هو دليل كمال حبه[2].

والمحبة المذكورة لا تتحقق بالقال والقيل، بل بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى، فهي رزق، والله هو الرزاق، فلنسأله ليرزقنا إياها كما كان سيدنا رسول الله ﷺ يسأله ربه ويتضرع إليه في دعائه بقوله: "...أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ...."[3].

(1) ديوان الإمام الشافعي، جمعه وشرحه: نعيم عدنان زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1404هـ1984-م، ص76.

(2) الشرف المؤبد لآل محمد، يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت1350هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/ 1427-2006 ص101.

(3) رواه الإمام الترمذي-رحمه الله- في سننه، باب ومن سورة ص.

تلك المحبة إذاً هي ترياق العمران، هي المفتاح الذي يقود الأمة إلى عمران إسلامي أخوي، هي المفتاح الذي يدفع الإنسان إلى اقتحام العقبات الكئودة، من أجل البناء بناء صرح العمران على أس القرآن وسنة النبي ﷺ إمام أهل الإحسان. إن البناء الذي ينسى هذا الأساس المتين لا يمكن أن يحمي صاحبه من الأخطار الوافدة إليه بشكل من الأشكال، بل سرعان ما ينهار على أم رأسه.

إذا انفك قلب الإنسان عن هذا التاج -المحبة- العظيم، ما الذي يبقى له؟ لاشك يصبح قلبه مأوى ووكرا لأفاعي الريب وسوء الظن، وذئاب الهوى والطمع...

إذاً فهذا العمران لا ينهض إلا على دعامة رئيسة واحدة، ألا وهي دعامة الحب. إذا سلم أساسها وقامت صافية عن الشوائب والزغل سَهُل البناء، وقام صرح العمران، وكلما كانت المحبة شديدة كان البناء شامخا ومتينا.

لكن ما نلاحظه غياب تلك المحبة روح العمران، فابتلينا بغيابها بالويل والثبور وعظائم الأمور أن تعود القلوب إلى معين المحبة، فتغرف منه، ذالك هو الدواء لهذه الأمراض الوبيلة التي حلت بنا.

لو أن القلوب صفت وغُرس فيها مغرس المحبة، لجمع الله شملها، ووحد كلمتها، ولفجر القوة من حيث لا تحتسب من كيانها...فما انتصر الإسلام بالفكر ولا الجدال، لكنه انتصر بالمحبة والطاعة لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام وبتلك الروحانية الإيمانية العالية. فالإسلام الفكري لا يحقق شيئا، لا ينبت كلأ ولا يعطي ثمارا، لأنه شجرة فوق الأرض لا جذور لها سرعان ما تعصف بها الرياح العاتية وتهوي بها في مكان سحيق.

فعندما تتحقق هذه المحبة بمفهومها الشامل في قلوب المسلمين وأعمالهم تحل مشكلاتهم كلها، وعندما تغيب المحبة ويبقى التناطح والبغض والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، فإن المشكلات تتكاثر ولن تجد لها حلا أبداً.

وخير شاهد على ما سبق ذكره ما تعانيه الأمة الإسلامية من مشكلات كثيرة من تفرق وتشرذم وطائفية وأحقاد و...، بقي الجسد المتمثل في الأمة الإسلامية، وانفصلت الروح عنه "المحبة الأخوة التعاون..."، والرعيل الأول النموذج الخالد -رضي الله عنهم-

ما نالوا ما نالوه من خير وفضل وما تحقق على أيديهم من فتوحات ونصر وتمكين لمجرد استيعاب مبادئ الإسلام، لكن تحقق ذلك على أيديهم بسبب حبهم الشديد الذي سيطر على قلوبهم وملك كيانهم، ذلك الحب الذي جعل الموت في سبيل الله أغلى أمانيهم، قرب لهم البعيد، ولين لهم الحديد، وصغَّر في عينهم هم الدنيا، وكبَّر فيها هم الآخرة، وجعل المستحيل ممكنا، والماء الأجاج عذبا سلسبيلا، وتحقق فيهم قوله سبحانه تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الأحزاب). ذلك هو لب الدين وروحه والسر في انتصاره وظهوره على الدين كله.

تلك المحبة غابت اليوم من قلوب المسلمين، ولما غابت امتلأت تلك القلوب بحب الدنيا وكراهية الموت، بحب المال والجاه، بحب الشهوات والنزوات، بحب الرئاسة والظهور الذي يقصم الظهور... أما الإسلام فبقي محصورا في الدماغ، فكرا سطحيا في العقول الخالية من ذكر الله والدار الآخرة.

دواء واحد إن غاب، لا والله لن تحل معضلاتنا مهما بحثنا عن العلاج، ومهما طرقنا الأبواب، ومهما اتخذنا من وسائل، ومهما سلكنا من سبل، هذا الدواء هو أن نوجه قلوبنا بالمحبة إلى الله جل وعلا وإلى رسولهﷺ ،وإذا لم تتحقق هذه، فإن معضلات الأمة لن تُحل، ومشكلات العراق لن تحل و...، لأن الوحدة لم تتحقق، والوحدة ليس ما نراه من مصافحات وابتسامات دبلوماسية على شاشات التلفاز، دعك من الدعاوى، وتعال فانبش طوايا القلوب تجدها متجهة إلى جمع الأموال، والثروات، وحب الشهوات، والكبر والغرور، والتهافت على الدنيا وعلى الكراسي الفانية. تلك صور تدمي القلوب، وتتقطع لها الأكباد.

وليست وحدة الديار فقط فذلك أمر واجب وضروري، لكن أهم منه وحدة القلوب التي عشش فيها الشقاق والشحناء والبغضاء....

الدواء هو أقرب إلى الأمة من حبل الوريد، لكن لم تنتبه إليه بعد. على الرُغم من وجوده بين عينيها. يجب أن نعود إلى قلوبنا وننظر إلى حالها أهو موافق لإيماننا بالله تعالى وما يطلبه منا جل وعلا؟ أم مخالف له؟

الدواء مجموع في كلمة من أربعة أحرف: المحبة. ولكن لا المحبة الهابطة، إنها الداء، أما الحب العالي والغالي الصاعد فهو الدواء والشفاء.

والمحبة الصادقة في صورها الرائعة كما عاشها الجيل الأول النموذج الخالد جيل الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم من بعدهم، هي التي تحتاج إليها الأمة في هذا الوقت، إذ هي مصدر المثل العليا والعزة والكرامة، فهي من أجل أعمال القلوب ومن أوثق الروابط، فليست بالأمر الهين اليسير، ولنا في الصحابة أروع الأمثلة في تقديم المحبة على كل شيء، فكانوا الصورة الصادقة لها، والكلمة الهادية الباقية. فمن أراد اللحاق بهم سلك طريقهم وبذل جهده في ذلك.

يَـمُـوتُ قـومٌ فَيُحْيِي الحُـبّ ذِكْرهـم والـبـغـض يُـلْـحِـقُ أمـواتًـا بـأمـواتِ

وهنا لابد أن أؤكد أنه عندما تمتلئ القلوب بالمحبة، وعندما تتآلف القلوب وتوثق الروابط الودية، لا تستطيع دول الشرق ولا الغرب وقوى الإنس والجن أن تحطم هذه الروابط بين أفراد العمران. يقول الله جلت حكمته: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (آل عمران).

السبب الرئيس الذي جعل الأمة تصل إلى حضيض التخلف والتأخر عن الركب، هو "داء الأمم" فرغت أفئدة أبنائها من المحبة لله ولرسوله والمؤمنين، أصبحت تلك القلوب تصفر فيها رياح الشحناء والحقد والبغضاء.

ولن تقوم لنا قائمة حتى نرجع إلى المنهاج النبوي لنغير ما بأنفسنا حتى يغير الله ما بنا، يقول عز من قائل: ﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴿١١﴾ ﴾ (الرعد).

فبمحبة الله ورسوله، شفيت الأمة في بداية أمرها، وبه تشفى في وسطه وآخره، فمهما التمس الناس الهدى في غير الإسلام، ومهما تفلسفوا عن القوميات ومعانيها ومهما... كل ذلك يتبخر ويذهب أدراج الرياح ما دامت الأمة تركن إلى الأهواء القاتلة والنُّعرات القبلية والطموحات الشخصية، وما دام داء الأمم يضرب بخيله ورجله في أرضها.

ولقد جربت الأمة الوسائل كلها، وطرقت الأبواب المختلفة بحثا عن العلاج فوجدتها جميعا مغلقة، ثم وجدت بابا واحدا هو الباب المفتوح، باب المحبة.

معين العلاجات كلها يكمن هذه المحبة لله ولرسوله والمؤمنين، والمواطنة القلبية بين المؤمنين، وفي عودة الأمة إلى أصلها مرة أخرى إلى أس العلاج ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (آل عمران).

3. إقامة العدل:

قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل)، المقصود بالعدل الاستقامة في حقوق الله وفي حقوق عباده. يقول ربنا تبارك وتعالى يخاطبنا معشر الأمة المحمدية: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ... ﴿١٣٥﴾ ﴾(النساء)، ويقول عز من قائل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ... ﴿٨﴾ ﴾ (المائدة). والقسط المذكور في الآية هو: العدل، والمقصود بالعدل هو عدل الحكم وعدل القسمة، فالأول هو الفصل فيما يقع بين الأفراد من تشاجر وخصومات، والثاني هو المساواة بين أفراد المجتمع، وذلك بقطع دابر المترفين، وتقليم أظافر المسرفين والمبذرين، وتسوية الفساد الطبقي، والتكافل الاجتماعي من كفالة اليتيم والمسكين والعاجزين، بالإضافة إلى توفير الشغل للقادرين.

ولذلك فإن مطلب العدل يتصدر كل المطالب في البرامج السياسية الجادة. والعدل الذي أمر الله به -إقامتُه والتهيؤ لقيامه- أهم ما تتطلع إليه الأمة المسلمة وتشرئب إلى تحقيقه طوائف الأمة المستضعفة في الأرض، أمة الإسلام.

فالعدل بين الناس في الحكم، والعدل في الأرزاق حين تُنتَجُ وحين تُقسم، والعدل تنشُده أمة الإسلام اقتضاءً من النظام العالمي العولمي الطاغي في الأرض، والعدلُ بين الناس

جميعا أبيضِهم وأسوَدِهِمْ مطالب أساسية ينبغي أن تتصدر برامج الإسلاميين وهم على عَتبَةِ المسؤولية عن الحكم[1].

أما إذا كان الظلم والسَّفاء محل العدل والإنصاف، فلا شك أن مآل ذلك العمران إلى خراب، ويرحم الله العلامة ابن خلدون القائل: "الظلم مؤذن بخراب العمران"[2].

وعلاوة على ذلك، فإن العدل دعامة لهذا العمران الإسلامي الأخوي وهو أم المطالب التي يقصد إليها الشرع. بل هو من مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء، وصلب الدين، به بعث الله رسله وأنبياءه مبشرين ومنذرين، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ...﴿٢٥﴾﴾ (الحديد).

وهنا لابد من تنمية وتوفير حاجيات الاقتصاد للتصدي لضرورات الإنتاج والتصنيع... لأن المجتمع المسلم محتاج إلى حد أدنى من الرفاهية المادية ليضمن بالمعاش الكريم الراحة الخلقية والروحية لرجاله ونسائه.

ولأنه لا يمكن أن تنهض المجتمعات إلا إذا كان لها نظام اقتصادي صلب، يسمح للإنسان بأن يحقق ذاته وكرامته، وأن لا يقع فريسة للفقر بأي حال من الأحوال، ويجب أن يكون هذا هدفا اجتماعيا كبيرا[3]، يكشف ما حل بالأمة من تبعية للغرب، ويجعلها قائدة لا ذيلا من ذيول الأعداء.

لأن الأمة تسعى إلى هدف أساس هو بناء عمران أخوي، فمن كون الهدف عمرانا فالمطلوب مهارات فكرية عملية تطبيقية، ومن كونه أخويا فالأخلاق لازمة متلازمة.

العمران تصنيع وبيئة اجتماعية تقدر الصانع.

التصنيع مستقبل من لا يريد أن يبقى مستهلكا مستوردا تأكل المديونية كيانه.

---

(1) العدل، ص5.

(2) المقدمة، ص262.

(3) القواعد الإستراتجية في الصراع والتدافع الحضاري "قوانين النهضة"، مشروع النهضة سلسلة أدوات القادة، د.جاسم محمد سلطان، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، ط2/ 1426هـ-2005م، ص 235.

التصنيع والعمران يصلحان مع ريب عال يخرج من ميدان النظريات إلى الواقع العيني التعليم العال. ويصلحان بتعليم متوسط وريب متوسط ليعطي المتعلم أحسن ما عنده.

العمران الإسلامي يريد الاستخدام الأمثل للقدرات، واستيعاب كل أفراد الأمة. وليستخدم ولا يستوعب التسابق الغير المتكافئ للشهادات العليا الرائجة وحدها مهما كان مضمونها في مجتمع المظاهر ومكافحة الفصحاء القوالين غير الفاعلين. دع عنك الرشوة والغش.

من الإحتباسات العائقة للتنمية عدم ملاءمة التعليم للأهداف التنمية. احتباس له أهميته القصوى بعد احتباس صناعة القرار السياسي المحتكر، وبعد الإحتباسات الخلقية والإدارية وعوائقها الخلقية من رشوة ومحسوبية وخيانة واختلاس وظلم.

ارتباط التعليم بالعملية الاقتصادية ضروري ليتحول التعليم من تلقين نظري إلى تدريب عملي[1].

4. التكافل الاجتماعي:

تحدث القرآن الكريم عن التكافل الاجتماعي في قول الله تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ (المائدة)، ويقصد بالتكافل الاجتماعي: توحيد جهود أفراد مجتمع العمران وإشراكها في المحافظة على المنافع العامة والخاصة لهذا المجتمع، ودفع المفاسد والأضرار المادية والمعنوية عنه، بحيث يشعر كل فرد فيه أنه إلى جانب الحقوق التي له أن عليه واجبات للآخرين وخاصة الذين ليس باستطاعتهم أن يحققوا حاجاتهم الخاصة وذلك بجلب المصالح إليهم، ودرء الأضرار عنهم.

وعليه، فالتكافل الاجتماعي في مجتمع العمران الأخوي ليس مقصورا على النفع المادي فقط، وإن كان ذلك ركنًا أساسيًّا فيه بل يتجاوزه إلى جميع ما يحتاجه هذا المجتمع الأخوي -أفرادا وجماعات- من الحاجات المادية والمعنوية والفكرية.

(1) حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، ص182-183.

ولذلك فإن حبيبنا رسول الله ﷺ حين رأى مجتمع المدينة ممزقا حينما هاجر إليه بسبب الخلافات بين الأوس والخزرج من ناحية، وبسبب فقر معظم المهاجرين وعوزهم من ناحية أخرى، طبق مبدأ أخوة الإسلام بحيث يشعر كل مسلم أنه مكفول كفالة تامة في المجتمع العمراني الإسلامي الجديد.

ويقوم مبدأ المؤاخاة الذي أسس دعائمه سيدنا رسول الله ﷺ على أساس أن المسلمين جميعا أخوة، يعطي الغني منهم فقيرهم بالمعروف ويعين القادر منهم غير القادر، إذ أمرهم سيدنا رسول الله ﷺ بأن يتآخوا في الله أخوين أخوين، تآخى كل واحد من المهاجرين مع رجل من الأنصار.

كانت هذه المؤاخاة بهذا المفهوم الاقتصادي الاجتماعي درسا في التنظيم الاجتماعي ولم يكن معناها أبدا أن يركن المهاجرون إلى الدعة والكسل والخمول، ويتوقفوا عن السعي وراء الرزق واتخاذ أسبابه، بل كان الهدف ترسيخ قيمة التكافل الاجتماعي بين من يشتركون في أخوة الدين الإسلامي، بحيث يعين المسلم أخاه المسلم في وقت الضرورة الحاجة الملحة دون تواكل على الغير، ولذلك اشتغل بعض المهاجرين بالتجارة، على حين عمل البعض الآخر، في حقول الأنصار ومزارعهم.

لهذا فالإسلام يَعُدُّ التكافل الاجتماعي واجبًا من أهم الواجبات التي يتحتم على أفراد المجتمع العمراني القيام بها. والعمران الأخوي المنشود هو الذي تتعمق فيه بالممارسة معاني المحبة والود والرحمة والإيثار والبذل، فالمسلمون في توادهم وتراحمهم جسد واحد ألف الله بين أعضائه بنعمته وفضله بعد أن كانوا أعداء، قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (آل عمران).

وقد ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثلة في ممارسة التكافل الاجتماعي والمحبة والأخوة والرابطة الإيمانية والإيثار مع الحاجة والبذل، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم ترسل إليهم الأموال الكثيرة فيوزعونها على المحتاجين وينسون أنفسهم وهم أحوج ما

يكونون إليها وكانوا رحماء فيما بينهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، كما يصفهم القرآن الكريم: ﴿ ...أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ..﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح)، ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحشر).

ففي المجتمع العمراني الأول في المدينة المنورة، استقبل الأنصار المهاجرين وشاطروهم الديار والأموال، وبذلوا لهم النفس والنفيس ابتغاء رضوان الله، كما أخبرنا مولانا تبارك وتعالى.

بهذه الأخوة تكون العمران الأخوي الأول، وضرب مثلاً رائعاً في التكافل الاجتماعي، ولقد برهن الأنصار عن حبهم الصادق، وأخوتهم الصادقة، بكرمهم وسخائهم في معاملتهم لإخوانهم المهاجرين، وكانت الأخوة الصادقة بينهم، والرابطة القلبية رباطاً قوياً متيناً جمع المهاجرين والأنصار بما يترتب على ذلك من حقوق تساوت مع حقوق الأخوة في النسب.

هكذا نرى ونشاهد تلك الصور المشرقة من حياة الصحابة وكرمهم وسخائهم وتكافلهم، إنها نماذج خالدة صنعها الإسلام في ظلال الصحبة النبوية المباركة التي ربت هذا الجيل القرآني الخالد، حتى أنكر الفرد نفسه،، وهجر المال والمتاع، وقطع صلته بالمجتمع الجاهلي، وأصبح له طريق جديد ووجهة جديدة، واتجه قلبه صوب مجتمع أخوي جديد يقوده حبيب الحق سيدنا محمد ﷺ بأخلاقه المثلى وصفاته العلى.

أ- أنواع التكافل الاجتماعي:

أولا- التكافل الأخلاقي:

إن حماية مجتمع العمران من أن تقوض أركانه تخلخل دعائمه المعاصي والمخالفات، وصونه من أمواج الشر الهائجة وآثار الفتن المائجة، وتحذيره مزالق الشقوق، ودركات الهبوط، دعامة عظيمة من دعائم الشريعة وعماد مشيد من أعمدته المنيعة، يتمثل تلك الأمانة الكبرى والمَهمة العظمى التي هي حفاظ المجتمعات وسياج الأخلاق والآداب

بها صلاح أمرها واستتباب أمنها وقوة ملاكها، ألا وهي وشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مافقدت في قوم إلا زاغت عقائدهم وفسدت أوضاعهم وتغيرت طباعهم، وما ضعفت في مجتمع إلا بدت فيه مظاهر الانحلال وفشت فيه بوادر الاختلال وحلت به المصائب والويلات، فالمعاصي والرذائل هي الداء العضال والوباء القتّال الذي به هلاك الأمم وخراب المجتمعات وانهيارها وسقوطها، وإن التفريط في تغيير المنكرات ومكافحتها والقضاء عليها من أعظم أسباب حلول العقاب ونزول العذاب والأمة، عَنْ أم المؤمنين زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: " «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا". وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ وَبِالَّتِي تَلِيهَا، فَقَالَتْ زَيْنَبُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟قَالَ: "نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ " [1].

عَنِ الْعَرْسِ بن عُمَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ، حَتَّى تَعْمَلَ الْخَاصَّةُ بِعَمَلٍ تَقْدِرُ الْعَامَّةُ أَنْ تُغَيِّرَهُ وَلا تُغَيِّرُهُ، فَذَاكَ حِينَ يَأْذَنُ اللَّهُ فِي هَلاكِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ"." [2].

حين تكون سائرة على جادة الصواب متمسكة بشرع ربها آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر، أعزها الله وأمدها بمدد من عنده، ورفع مكانتها بين الأمم.

فالله جل وعلا، بعث أنبياءه وأرسل رسله، وحملهم مَهمة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى:﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥ ﴾(النساء).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة

(1) رواه الأئمة: البخاري في صحيحه باب علامات النبوة في الإسلام، وباب قول النبي ﷺ ويل للعرب من شر قد اقترب، ومسلم في صحيحه باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، والترمذي في سننه باب ما جاء في خروج يأجوج ومأجوج، وابن ماجه في سننه باب ما يكون من الفتن، والإمام أحمد في مسنده مسند أبي هريرة رضي الله عنه وغيرهم رحمهم الله.

(2) رواه الأئمة: الطبراني في المعجم الكبير في الجزء الرابع، ابن أبي شيبة في مصنفه حديث مهران مولى رسول الله ﷺ، أبو نعيم في حليته.

واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون"[1].

وعناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الركن العظيم في الدين، ومن أجل القيام به على الوجه المشروع جاءت الآيات القرآنية -وهي كثيرة- تبيّن حكمه، وترسم معالمه وحدوده، وتزجر عن الانحراف به.

قال الله تعالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (آل عمران).

وقال تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾(آل عمران).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾(التوبة).

ويقول الباري جل جلاله:﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾(التوبة).

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ (الحج).

ويقول تقدست أسماؤه: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾(المائدة).

(1) إحياء علوم الدين، حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة بيروت، 2/ 306.

إلى غير ذلك من الآيات التي تحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشدد الوعيد على من ترك هذا الركن العظيم.

كما جاءت الأحاديث النبوية الشريفة تبين فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهميته في حصن المجتمع العمراني وحمايته من الرذائل والمفاسد.

عَنْ عَبْد اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وَلَيَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ".(1)

عن النُّعْمان بن بَشير ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :"مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِى أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِى نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا".(2)

عن أبي سعيد ﷺ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"(3).

عَنْ عُبَيْد اللَّهِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ { قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِى هُمْ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَمْنَعُ لاَ يُغَيِّرُونَ إِلاَّ عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ"(4).

هذا وعليه، فقد فخرت هذه الأمة المحمدية وحق لها أن تفخر بما شهد الله تعالى لها به وفضلها على غيرها من الأمم فنالت الخيريَّة لأسباب من أهمّها قيامها بواجب الأمر

(1) المعجم الكبير للإمام الطبراني الجزء الثالث، والسنن الكبرى للبيهقي الجزء العاشر.
(2) صحيح الإمام البخاري، باب هل يقرع في القسمة، والترمذي في سننه باب منه (مثل القائم..، والبيهقي في سنه، باب إثبات استعمال القرعة، ومسند الإمام أحمد باب حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. وغيرهم رحمهم الله.
(3) سنن النسائي، صحيح ابن حبان كتاب البر والصلة، سنن البيهقي، باب الرجل يدعى إلى الوليمة، مسند الإمام أحمد مسند أبي سعيد الخدري ﷺ.
(4) أخرجه الأئمة: ابن ماجه سننه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو داود في سننه باب الأمر والنهي، ابن حبان في صحيحه كتاب البر والإحسان، أحمد في مسنده باب ومن حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

بالمعروف، والنّهي عن المنكر، واستمرار الخيريَّة مرهون بالأسباب التي نالت بها تلك المكانة الرفيعة.

وإن من أعظم الخطوب التي حلت بالأمة في هذا الزمان تركها لهذا القطب الأعظم في الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الركن هو صمام الأمان لهذه الأمة ومفتاح وحدتها وسعادتها في الدنيا والآخرة.

يقول عز اسمه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (آل عمران).

إن أضعف الإيمان تغيير المنكر بالقلب. ويقوى الإيمان ويأتي التغيير الحقيقي إن نحن تعلمنا كيف نجمع سخط المسلمين على المناكر الجزئية لنصنع منه سخطا عاصفا تمحق دابر الفساد ويأتيه من قواعده.

وإن أقوى الإيمان بالمقابل هو تغيير المنكر باليد واللسان. ويضعف نتاج هذا الإيمان، بل يأتي بالنتائج العكسية، إن هو انصرف للاحتجاج، والتذمر، واللعن، وشتم الواقع وملاحقة الزجاجات تكسر، والمجرمين الصغار، والفجار العابثين، حتى يصبح ذلك متنفسا للضمير الإسلامي المعذب، وحتى يصبح آخر الأمر الفتك بعاهر في الشارع، واقتحام حانة، أهدافا في حد ذاتها[1].

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الأركان الإسلامية التي يترتب عليها صلاح المجتمع وسلامته ونجاته في الدارين، وذلك هو سفينة النجاة، ومفتاح التوفيق، وسياج العمران الأخوي.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الجهاد الدائم الواجب على المسلم، وهو أصل مهم من أصول قيام مجتمع العمران الأخوي لا قيام لشريعة الإسلام بدونه. ومما يؤكد مكانة هذا الركن في الإسلام أن ربنا تبارك وتعالى قد ذكر من أوصاف الصالحين أنهم

(1) المنهاج النبوي، ص394.

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قال سبحانه وتعالى:﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (آل عمران).

نتائج غياب التكافل الأخلاقي:

إن ما نراه اليوم من فتن كقطع الليل المظلم، ومن فساد في البر والبحر، ومن عادات جاهلية، وأخلاق سيئة، ومن فساد في الحكم والسياسة، ومن غش وظلم وطغيان، هو نتيجة غياب التكافل الأخلاقي من المجتمع الإسلامي فابتلينا بغيابه بالويلات، والأزمات، والانهيار، والتخلف في كل الميادين...

ثانيا- التكافل المعاشي:

أقصد "بالتكافل المعاشي" ما يصطلح عليه اليوم "بالتكافل الاجتماعي" من إلزام المجتمع برعاية الزمنى وذوي الحاجات من فقراء ومساكين ويتامى، يصطلح الغرب على هذا النوع من التكافل التكافل الاجتماعي ونحن نصطلح عليه بالتكافل المعاشي؛ لأن الغربيين لا يلزمون أنفسهم بتكافل إلا في شئون المعاش من طعام وكسوة وشراب... أما ما عدا ذلك من أنواع التكافل الاجتماعي المذكورة في هذا المبحث فلا يعرفونها ولا يؤمنون بها في حضارتهم المادية الزائفة.

فلا يؤمنون بالتكافل الأخلاقي، ولا يؤمنون بالتكافل العبادي ولا يؤمنون بالتكافل الأدبي ولا... وكيف يؤمنون به وحضارتهم قائمة على الأنانية الشهوانية، والخواء الروحي، والفقر المعنوي، والمادة الفانية،﴿ ...إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الفرقان).

ويشمل التكافل المعاشي ما يأتي:

1- التكافل داخل الأسرة:

يقول الباري جل وعلا:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التحريم).

أكدت الشريعة الإسلامية السمحة على التكافل بين أفراد الأسرة وجعلته الرباط المحكم الذي يحفظ الأسرة من التفكك والانهيار.

ويبدأ هذا التكافل من الزوجين بتحمل المسئولية المشتركة في القيام بواجبات الأسرة ومتطلباتها؛ كل بحسب وظيفته الفطرية التي فطره الله عليها، فالرجل وظيفته القوامة، والمرأة وظيفتها الحافظية، وبالتعاون بين الزوجين أو بين القوامة والحافظية يتحقق التكامل والاستقرار داخل الأسرة، يقول الله جل شأنه: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ ﴾(النساء).

ويقول تعالى: ﴿ ...وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٨﴾ ﴾(البقرة).

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ { قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: " كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ".[1]

يأتي تقسيم المهام وتوزيع المسئوليات داخل الأسرة المسلمة -كما تتبين لنا وظيفة المرأة والرجل من خلال الحديث السابق- بين الرجل والمرأة بما يضمن قيام الأسس المادية والمعنوية التي تقوم عليها الأسرة، وبما يضمن السعادة الأبدية لأفرادها.

والأسرة مسئولية مشتركة بين الزوجين فكلما وجد أحدهما في الآخر تقاعسا أو تقصيرا نبهه وأرشده إلى الخير ورغبه فيه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ

(1) رواه الأئمة: البخاري في صحيحه باب الجمعة في القرى والبوادي، ومسلم في صحيحه باب فضيلة الإمام العادل، والترمذي في سننه باب ما جاء في الإمام العادل، وأحمد في مسنده مسند عبد الله بن عمر { .

ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة).

وقال عز من قائل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم).

فبالمودة والرحمة الحميمين يتميز الزواج المطابق بالقصد والفعل والتوفيق الإلهي للفطرة. وبهما لا بمجرد العَقْد القانوني يحصل الاستقرار في البيت، وبالاستقرار في البيت يشيع الاستقرار في المجتمع.الاستقرار أصْلُه ومثواه الزوج المؤمنة الصالحة الناظرة إلى مثال الكمال في خطاب الله عز وجل لنساء نبيه: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأحزاب).

لستن كأحد من النساء إن اتقيتن.فلا تخضعن بالقول فيطمَعَ الذي في قلبه مرض. وقلن قولا معروفا. وقَرْنَ في بيوتكن. ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى. وأقِمن الصلاة وآتين الزكاة. وأطعن الله ورسوله.

أصل الاستقرار ومثواه ومِرْساتُه الزوج الصالحة المنخرطة في سياق الاستقرار.فعل الأمر "قَرْنَ" يحمل معاني الوَقار والقرار،ومعانيَ الحياء والحشمة، ومعاني الثبات والوفاء. إذا لَم تجْرِ في قنوات المجتمع هذه المعاني منبعثة من كل بيت، متغذية من منابع القلوب الطاهرة الراضية بنصيبها من الحياة الدنيا ومتاعها وزينتها، فالمجتمعُ ساحة مفتوحة للنهب، أولُ منهوب فيها مظلوم المرأة العانس، أو المرأة المعتقلة في زواج فاشل رديء.

نحتفظ بالرباط الفطري القلبي الذي هو روح الزوجية: المودة والرحمة المتبادلين ينشأ عنهما الاستقرار والوقار. والمرأة فاعلة في هذا مُجلِّيَةٌ فيه مُقدَّمةٌ. من لطافة عواطِفها تشتقُّ الرحمة بين الناس. مَنْ مِثْلُها يبَرّ الوالدين، ويصلُ الرحِمَ، ويحفظ حق الزوج، ويصبر للأطفال، ويرعى حرمة الجوار، ويعطِف على المحتاج، ويكفُل اليتيم، ويُطبب المريض، ويحسن إلى الضعيف؟ فإن كانت المرأة محرومة من دواعي السَّكَن في بيتها، وكانت مشردة لا بيت لها ولا زوج، أو كانت تتقاذفُها رياحُ البهرجة في مجتمع الإباحية فما من قانون

يعوضها عن فقْدها العاطفي، ما من ثروة تقوم لها مقام السعادة الزوجية[1].

2- التكافل داخل الجماعة:

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾(التوبة).

ويقول عز من قائل:﴿ ...وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ (المائدة).

عن النُّعْمَان بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ مِثْلُ رَجُلٍ، أَوْ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِذَا اشْتَكَى عَيْنَاهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِذَا اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ"[2].

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النبي ﷺ قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ.[3]

يقول ذو النون رحمه الله: "ثلاثة من أعلام الحب في الله عز وجل: بذل الشيء لصفاء الود، وتعطيل الإرادة لإرادة الأخ للسخاء بالنفس، والمشاركة في محبوبه"[4].

لقد أقام الإسلام تكافلا مزدوجا بين الفرد والجماعة، فجعل السعي للمصلحة العامة واجب من واجبات كل منهما، فالفرد في مجتمع العمران مسؤول تضامنيا عن حفظ النظام العام وعن التصرف الذي يمكن أن يسيء إلى المجتمع أو يعطل بعض مصالحه، وفيما ذكرته سابقًا من الأدلة كافيا في التكافل الواجب داخل الجماعة.

وأما التكافل بين جميع المجتمعات الإنسانية فهو الذي يرسم طريقه قوله جل وعلا:

(1) العدل، ص268.

(2) رواه الإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي في الآداب باب في التعاون على البر والتقوى.

(3) رواه الأئمة: البخاري في صحيحه، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، مسلم في صحيحه باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، الترمذي في سننه باب ما جاء في شفقة المسلم على أخيه، النسائي في السنن باب أجر الخازن إذا تصدق بإذن مولاه، وغيرهم رحمة الله عليهم جميعا.

(4) شعب الإيمان للحافظ البيهقي، باب فصل فيما يقول العاطس في جواب التشميت.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ (الحجرات).

فهي تعلن مبادئ تواصل عمراني أخوي وتكافل جماعي بين جميع الأقطار بموجبه تنتظم كافة المجتمعات الإنسانية في رباط عالمي هدفه النهائي والحقيقي إقامة مصالح العالمين ودرء المفاسد عنهم وتبادل المنافع فيما بينهم، مادية ومعنوية، علمية وثقافية واقتصادية مع الحفاظ على خصوصيات كل مجتمع وكيان دون تهديد لتلك الخصوصيات بما يهدمها أو يلغيها، وأساس ذلك إحساس الجميع بوحدة أصلهم ومنشأهم ومصيرهم، والمهام المطلوبة منهم، والغاية التي وجدوا من أجلها.

والتكافل داخل الجماعة يشمل:

أ) كفالة المسنين:

يقول الله جل جلاله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ ﴾(الإسراء).

عن أَنَس بْن مَالك ﷺقال: جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النبي ﷺ، فَأَبْطَأَ الْقَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ فَقَالَ النبيﷺ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا"(1).

ب) كفالة اليتامى:

يقول الله جل جلاله: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥ ﴾(البقرة)

﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢ ﴾(النساء).

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَافِلُ الْيَتِيمِ(2) لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ(3) أَنَا وَهُوَ

(1) رواه الأئمة: الترمذي في سننه باب ما جاء في رحمة الصبيان، وأحمد في مسنده مسند عبد الله بن عمرو، وأبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي في مسنده مسند عبد الله بن عمرو، والبخاري في الأدب المفرد باب فضل الكبير وغيرهم رحمة الله عليهم.

(2) كافل اليتيم: القائم بأموره من نفقة وكسوة وتربية وتأديب وغير ذلك... وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية.

(3) له أو لغيره: فالذي له؛ أن يكون قريبا له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه... والذي لغيره أن يكون أجنبيا.

كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ"[1].

ت) كفالة الفقراء والمساكين:

يقول الله تقدست كلماته: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾(التوبة).

عن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "ويل للمالك من المملوك، وويل للمملوك من المالك، ويل للغني من الفقير، ويل للفقير من الغني، ويل للشديد من الضعيف، ويل للضعيف من القوي "[2].

لقد جاءت في كفالة الفقراء والمساكين آيات تحض على كفالتهم ومشاركتهم آلامهم، والإحسان إليهم، وتنفيس الكرب عنهم وبذل العون لهم ماديا ومعنويا، وتفتح هذه الآيات المجال أمام التطوع وترغب في الإحسان والإكثار من الخير، وفيما ذكرته من النصوص الكفاية.

ث) مساعدة المدين المعسر:

يقول الله عز اسمه: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ (البقرة)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ ﷺ طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ فَتَوَارَى عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ. فَقَالَ: آللَّهِ قَالَ: آللَّهِ. قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ"[3].

---

(1) رواه الأئمة: مسلم في صحيحه باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين، البخاري في صحيح باب اللعان، أحمد في مسنده مسند أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) رواه الأئمة: البيهقي في شعب الإيمان باب فصل في ذكر ما ورد من التشديد في الظلم، وأبو يعلى الموصلي في مسنده باب ويل للملوك من المالك...

(3) رواه الأئمة: مسلم في صحيحه باب فضل إنظار المعسر، والبيهقي في السنن الكبرى باب ما جاء في إنظار المعسر، وأبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في المعجم الأوسط باب من اسمه عبدان، وأبو عوانة في المستخرج باب ذكر الترغيب في إنظار المعسر.

ح) رعاية حق الجار:

يقول الله جل وعلا: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾(النساء).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "...مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ...".[1]

وحدد حقوق الجار في الحديث الذي رواه بَهْز بن حَكيم، عَنْ أَبيه، عَنْ جَدِّه رضي الله عنهم، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، مَا حَقُّ جَارِي عَلَيَّ؟، قَالَ: " إِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ، وَإِنْ مَاتَ شَيَّعْتَهُ، وَإِنِ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِنْ أَعْوَزَ سَتَرْتَهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ، وَلا تَرْفَعْ بِنَاءَكَ فَوْقَ بِنَائِهِ فَتَسُدَّ عَلَيْهِ الرِّيحَ، وَلا تُؤْذِهِ بِرِيحِ قِدْرِكَ إِلا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا".[2]

خ) إكرام الضيف:

عنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ".:..مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَضِيَافَتُهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ".[3]

ج) الإحسان إلى الغريب:

لقد حض الإسلام على الإحسان إلى الغريب(ابن السبيل)[4] وجعل له نصيبه من الزكاة فقد ذكره في الأصناف الثمانية المستحقة لفريضة الزكاة.

---

(1) رواه الأئمة: مسلم في صحيحه باب الحث على إكرام الجار والضيف، البخاري في صحيحه باب من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر...، ابن حبان في صحيحه باب الضيافة...

(2) رواه الإمام الطبراني في المعجم الكبير الباب الرابع، والإمام البيهقي في شعب الإيمان فصل فيما يقول العاطس في جواب التشميت.

(3) رواه الأئمة: مالك في الموطأ باب جامع ما جاء في الطعام والشراب، الشهاب القضاعي في مسنده باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر...، الدارمي في سننه باب الضيافة، أبو نُعيم في الحلية باب المفضل بن فضالة...

(4) وهو الذي انقطعت به السبل ولم يستطع الوصول إلى بلده.

يقول الله جل وعلا: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (التوبة).

د) إسعاف المحتاج:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ { عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "مَنِ احْتَكَرَ طَعَاماً أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ؛ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى" [1].

ذ) الإحسان إلى غير المسلمين الذين لم يقاتلونا:

إن أساس التكافل الاجتماعي هو كرامة الإنسان؛ يقول الله جل شأنه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الإسراء).

وعليه، فإن التكافل الاجتماعي في الإسلام ليس معنيا به المسلمين المنتمين إلى جماعة المسلمين فقط؛ بل يشمل كل المنتمين إلى مجتمع العمران على اختلاف نحلهم واعتقاداتهم، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾(الممتحنة).

نتائج غياب التكافل المعاشي:

إن التكافل الاجتماعي هو "اللحمة" التي تصل الفرد بجنس الإنسان ومعنى الإنسانية.

وفي التعبير عن هذا المعنى الإنساني والاجتماعي، جاء التصوير النبوي لهذا التكافل الذي يجعل الأمة جسدا واحدا حيا رغم تفاوت أعضاء هذا الجسد في الحجم والتأثير والإمكانات والاحتياجات...

(1) رواه الأئمة: أحمد في مسنده مسند عبد الله بن عمر { ، أبو يعلى الموصلي في مسنده باب من احتكر طعاما...، الطبراني في المعجم الكبير والأوسط.

فإذا غاب هذا التكافل، تحللت الروابط الاجتماعية في المجتمع، وتحللت الأعصاب الجامعة للأمة.. ولقد بالغ الإسلام في التحذير من ذلك إلى الحد الذي جعله سببا في براءة ذمة الله سبحانه وتعالى، وذمة رسوله ﷺ، من الجماعة البشرية التي تسقط في مستنقع هذا الخلل الفاحش في علاقات الاجتماع...

فمجتمع التكافل الاجتماعي هو مجتمع الجسد الحي. وإسهام كل عضو من الأعضاء في حياة الجسد وحيويته ليس متماثلا ولا متساويا.. وحظ كل عضو ونصيبه من رصيد حياة الجسد وحيويته ليس متماثلا فالتوازن والارتفاق، الذي يصبح فيه كل عضو فاعلا ومنفعلا ومتفاعلا مع الآخرين، وكأنه المرفق الذي يرتفق به وعليه الآخرون كما يرتفق هو بهم وعليهم، مع التفاوت في الحظوظ والمقادير والدرجات في عملية الارتفاق والتوازن هذه.. إن هذه الصورة هي الممكنة والحقيقية والعادلة في مبدأ المساواة بالميادين التي تتفاوت في طاقات الناس، وتتفاوت فيها أيضا احتياجاتهم لما يحصلون في هذه الميادين.

أما إذا غاب التكافل الاجتماعي، وحل محله "الخلل" في الاجتماع الإنساني، فإن الثراء سيتركز في جانب، بينما يتركز الفقر في الجانب الآخر، ولذلك كان مجتمع التكافل هو النقيض لمجتمع "دولة الأغنياء" الذي تحدث عنه القرآن الكريم فقال: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ (الحشر)، ذلك أن النشوز الاجتماعي والاستفراد بسلطة المال وبكل سلطة هو المقدمة المفضية الى الطغيان الاجتماعي.. والسياسي.. والإداري.. والاقتصادي. وصدق الله العظيم: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ (العلق).

فالتكافل الاجتماعي هو الطريق إلى حياة وإحياء الإنسانية في المجتمع.. والفردية والأثرة هي سبيل الطغيان[1].

وترتب عن غياب التكافل المعاشي ما يأتي:

أ) انتشار الأمراض والأوبئة؛ كما في إفريقيا وغيرها من الدول.

(1) مقال بعنوان: "التصوير النبوي للتكافل"، محمد عمارة، نشر له بموقع بلاغ www.balagh.com

ب) الجوع، حيث يعاني ثلث سكان إفريقيا من سوء التغذية بسبب غياب التكافل الاجتماعي.

ت) الفقر والبطالة: حيث "يعيش 37 بالمئة من سكان العالم الإسلامي تحت خط الفقر، أي ما يعادل 504 ملايين".[1]

أما في المغرب الأقصى، "فيشير تقرير للمندوبية السامية للتخطيط في المغرب في بداية 2005، إلى أن الحد الأدنى للأجور هو 150 دولارا في الشهر. غير أن هناك قطاعات واسعة من العمال يتقاضون أقل من هذا المبلغ شهريا، وفي المقابل فإن النفقات الشهرية للأسرة التي يصل متوسط أفرادها 6 أفراد يتجاوز 400 دولار شهريا!.

وتتعمق هذه الفجوة بين الراتب وتكاليف المعيشة بمدخلات أخرى، أبرزها زيادة عدد الفقراء الذين بلغوا وفق الأرقام الرسمية 6 ملايين شخص يمثلون نحو 19٪ من إجمالي السكان البالغ عددهم 32.7 مليون نسمة. وكانت النسبة تقدر بنحو13 ٪ في مطلع تسعينيات القرن الماضي، وهذه النسب يتحفظ عليها الخبراء، ويرون أنها تصل إلى أضعاف ذلك على أرض الواقع.

وتعزو مندوبية التخطيط ارتفاع الفقر إلى اهتزاز الاقتصاد المغربي بفعل التقلبات الدولية؛ وهو ما يجعله عاجزا عن توفير المزيد من فرص الشغل وهو ما يزيد من أزمة البطالة التي تصل نسبتها في الحضر بالمغرب إلى 21 ٪، بينما تتضاعف في الريف لتصل إلى 45 ٪.

ويبدو أن أزمة البطالة مرشحة للتصاعد بحدة في السنوات القادمة، خاصة بعد المشكلات التي تواجه قطاع النسيج في المغرب الذي يستقطب 95 ألف منصب شغل، حيث تجبره المنافسة الصينية الشرسة على التخلي عن أعداد كبيرة من العمال" [2].

---

(1) انظر هذا الرابط:

http: //www.al-jazirah.com.sa/magazine/14012003/zj9.htm

(2) انظر مقال بعنوان: " المغرب.. بذخ سياسي وفقر معيشي!"، للكاتبة: مريم التيجي، المنشور بتاريخ: " 2005/ 07/ 14" على هذا الرابط:

http://www.islamonline.net/Arabic/economics/2005/07/article07.shtml

والبطالة تعتبر "إحدى أخطر المشكلات التي تواجه الدول العربية، حيث توجد بها أعلى معدلات البطالة في العالم. وحسب تقرير لمجلس الوحدة الاقتصادية التابع لجامعة الدول العربية، صدر عام 2004، قدّرت نسبة البطالة في الدول العربية ما بين 15 و20 ٪"[1].

أما فيما يتعلق بالفقر في العالم الإسلامي، فالإحصائيات الرسمية وغير الرسمية خير دليل عليه...

ثالثا- التكافل الأدبي:

المقصود بهذا النوع التكافل هو شعور كل فرد من أفراد مجتمع العمران بشعور الحب والود والعطف نحو الآخرين، ثم يحسن معاملتهم في السراء والضراء، والمنشط والمكره.

عن يزيد بن أسد ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يا يزيد بن أسد؛ أحب للناس ما تحب لنفسك"[2].

رابعا- التكافل العلمي:

فالعالم في مجتمع العمران يعلم الجاهل، والجاهل يحرص على التعلم من العالم، ولا يكتم العالم من علمه شيئا، بل ينفق منه على الصغير والكبير والرجل والمرأة،عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " :مَنْ كَتَمَ عِلْمًا مِمَّا يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ فِي أَمْرِ النَّاسِ فِي الدِّينِ، أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ"[3].

خامسا- التكافل السياسي:

لقد قرر الإسلام أن كل فرد من أفراد مجتمع العمران له حقه السياسي، وله حقه في النصح لمن يتولى أمر الأمة، فمجتمع العمران كله متكافل في تشييد صرح السياسة الرشيدة والإسهام في توطيد أركانها ودعائمها، وتأييدها ظاهرا وباطنا، وإنكار الفساد والانحلال

(1) تقرير بعنوان: "البطالة في العالم العربي تسجل أعلى نسبة في العالم" المنشور على هذا الرابط:
http: //www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&s"d=7838

(2) مسند الإمام أحمد حديث أسد بن كرز.

(3) رواه الأئمة: ابن ماجه في سننه باب من سئل عن علم فكتمه، ابن حبان في صحيحه كتاب العلم، أحمد في مسنده مسند أبو هريرة، الحاكم في مستدركه كتاب العلم.

والانحراف، يؤكد هذه المسؤولية الجماعية هذا الحديث الشريف: عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ { قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ "[1].

ويؤكده كذلك هذا الحديث الثاني: عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ رضي الله عنه قَالَ انْطَلَقْتُ أَنَا وَالأَشْتَرُ إِلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه فَقُلْنَا هَلْ عَهِدَ إِلَيْكَ نبي اللَّهِ ﷺ شَيْئاً لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: لاَ إِلاَّ مَا فِي كتابي هَذَا - قَالَ - وَكِتَابٌ فِي قِرَابِ سَيْفِهِ فَإِذَا فِيهِ "الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ أَلاَ لاَ يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلاَ ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثاً أَوْ آوَى مُحْدِثاً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ "[2].

سادسا- التكافل الدفاعي:

على كل مسلم في مجتمع العمران أن يتكافل مع بقية أفراد هذا المجتمع لحماية بيضة المجتمع والدفاع عنه، وإذا أسر العدو فردا من أفراد مجتمع العمران في المشرق وجب على آخر رجل في المغرب أن يهب مع إخوانه لحمايته وتخليصه من أيدي العدو، وإذا هجم العدو على بلد مسلم وجب على الأمة أجمعها أن تعلن الاستنفار والنفير العام لإنقاذه من أيدي المتعدين الغاصبين، ولا يعذر فرد من الأفراد إلا من الزمنى ومن به عذر شرعي. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ ﴾(النساء)، ويقول جلا وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ

(1) رواه الأئمة: البخاري في صحيحه باب الجمعة في القرى والبوادي، ومسلم في صحيحه باب فضيلة الإمام العادل، والترمذي في سننه باب ما جاء في الإمام العادل، وأحمد في مسنده مسند عبد الله بن عمر { .

(2) رواه الأئمة: وأحمد في مسنده مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ابن ماجه في السنن باب المسلمون تتكفأ دماؤهم، الدر قطني في سننه كتاب الحدود والديات وغيره، وعبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري في المنتقى من السنن المسندة، باب ما جاء في رد السرايا على العسكر.

إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (التوبة).

ويقول تبارك وتعالى: ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾(التوبة).

سابعا- التكافل الجنائي:

ذلك أنه إذا جنى جان على إنسان ما ولم يعرف قاتله، ألزم الشارع أن ينظر إلى المكان الذي وجد فيه القتيل فيختار أولياء الدم خمسين رجلا من ذلك المكان يقسمون أنهم لا يعرفون القاتل ولا يؤوونه عندهم، فإذا أقسموا حكم الشارع بدية القتيل تعطى لأوليائه، فإن عجز المحكوم عليهم بالدية عن دفعها، دفعها من بيت المال. وكذلك الحكم في كل من وجبت عليه دية قتيل وعجز وهو وعاقلته عن دفع الدية، لزمت الدية بيت المال.

وفي نظام القسامة الذي ذكرناه آنفا، وفي إلزام بيت المال بالدية عند العجز معنى واضح من معاني التكافل في تحمل آثار الجرائم، لأن بيت المال هو خزانة الشعب، ففي إلزامه بدفع الدية تحميل لكل فرد في الأمة آثار تلك الجناية[1].

وقد جاء الإسلام بمبدأ رائع في أحكام الجنايات "لَا يُطَلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ"[2] ومعناه: أنه لا تقع جريمة قتل في المجتمع الإسلامي دون أن يقتص من فاعلها، فإذا لم يعرف القاتل استحق أهل القتيل دية قتيلهم إما من بيت المال وإما من أهل القسامة[3].

ثامنا- التكافل الاقتصادي:

يولي الإسلام عنايته الكبرى باقتصاد الأمة، فيعمل على حفظ ثروات الأفراد من الضياع والتبذير، ويمنع سوء استعمال الاقتصاد الوطني بالاحتكار والتلاعب بالأسعار والغش في المعاملات وغير ذلك.

---

(1) الفقر الجوع الحرمان مشكلات وحلول، مصطفى السباعي، الناشران: دار الوراق بيروت، ودار النيربين دمشق ط1/ 1422هـ 2002-م، ص162.

(2) المغني لابن قدامة، 19/ 335.

(3) الفقر الجوع الحرمان مشكلات وحلول، ص162.

ولهذا أوجب على الدولة أن تحول دون الاحتكار والتلاعب والغش، وأن تضرب على أيدي المحتكرين بيد من حديد، بل وأن تصادر بضائعهم المحتكرة وتوزعها على الشعب بأسعار معتدلة وربح معقول[1].

كما أوجب الإسلام على الدولة أن تمنع المجانين والمعتوهين والسفهاء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم من تسيير أموالهم والتصرف فيها حتى يعقلوا أو يثوبوا إلى الرشد، قال الله جل جلاله: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾ (النساء)، وقال عزمن قائل: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الكهف).

تاسعا- التكافل العبادي:

هنالك في الإسلام شعائر وطاعات يجب أن يقوم بها المجتمع ويحافظ عليها بمجموعه، وتسمى بفروض الكفاية في العبادات، كصلاة الجنازة، فإن الميت إذا مات وجب على المجتمع تكفينه والصلاة عليه ودفنه، فإن لم يقم بذلك أحد أثم المجتمع كله.

ومثل ذلك الأذان لأداء الصلاة، وإقامة صلاة الجماعة في الأوقات الخمسة وإقامة الجمعة وغير ذلك، والمجتمع متكافل في إقامة ذلك كله كعمل من أعمال الحياة الروحية والاجتماعية التي يسعد بها المجتمع.

ولذلك فإن تجمعاتنا -لا سيما في الجمعة والعيدين- ينبغي أن يظهر فيها اعتزازنا بإسلامنا، وسمته، وزينته، وكثرته، وقوته، وهيبته. لهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث للشيخين وغيرهما أن نخرج لصلاة العيدين حتى النساء الحيض والعواتق وذوات الخدور. قالت أم عطية: "يا رسول الله! إحدانا لا يكون لها جلباب (فلا تستطيع الخروج). قال ﷺ: "لتلبسها أختها من جلبابها".

نساؤنا وأبناؤنا وبناتنا يخرجون معنا لنحتفل بمواسم الخير في المصليات، نعظم شعائر الله، ونفرح ونظهر زينتنا.

(1) الفقر الجوع الحرمان مشكلات وحلول، ص163.

وما هناك شيء يستحق الحفظ إن لَمْ نَبْنِ على التوبة، ولم نَغرِسْ بذر العبودية لله عز وجل في القلوب، وحمدَه على نعمة الإسلام نستشعرها ونعتز بها، ولم نصطفَّ في المساجد مع الراكعين الساجدين نتعلمُ الخُضوع لعظمة الخالق جل وعلا، ونشاركُ الجماعة في الخشوع لجلاله، تغشانا روحانية المسجد، وتجللنا هيبة الأذان واستقامة الصف. من المسجد،من بين الراكعين الساجدين، نخرج خمس مرات في اليوم بثوب من الإيمان جديد، وبنية متجددة، وعزم يتقَوَّى، ومشاركة تحفِز، ووازع قرآني حي [1].

عاشرا- التكافل العمراني:

كل ما يفيد مجتمع العمران الأخوي من عمل دنيوي أو أخروي، سياسي أو اقتصادي، أدبي أو علمي أو أخلاقي، فهو عمل نافع ومحبوب عند الله جل جلاله، وهو من البر المأمور به في كتاب الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ (المائدة)عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّ خَلْقِهِ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ" [2].

وهذا النوع من التكافل هو أكبر ضامن لاكتمال بناء مجتمع العمران الأخوي المنشود وازدهاره على الصورة المثلى التي يريدها الإسلام.

(1) العدل، ص168-169.

(2) مسند أبي يعلى مسند أنس رضي الله عنه، شعب الإيمان للإمام البيهقي، فصل في نصيحة الولاة ووعظهم، مسند الشهاب القضاعي باب الخلق كلهم عيال الله.

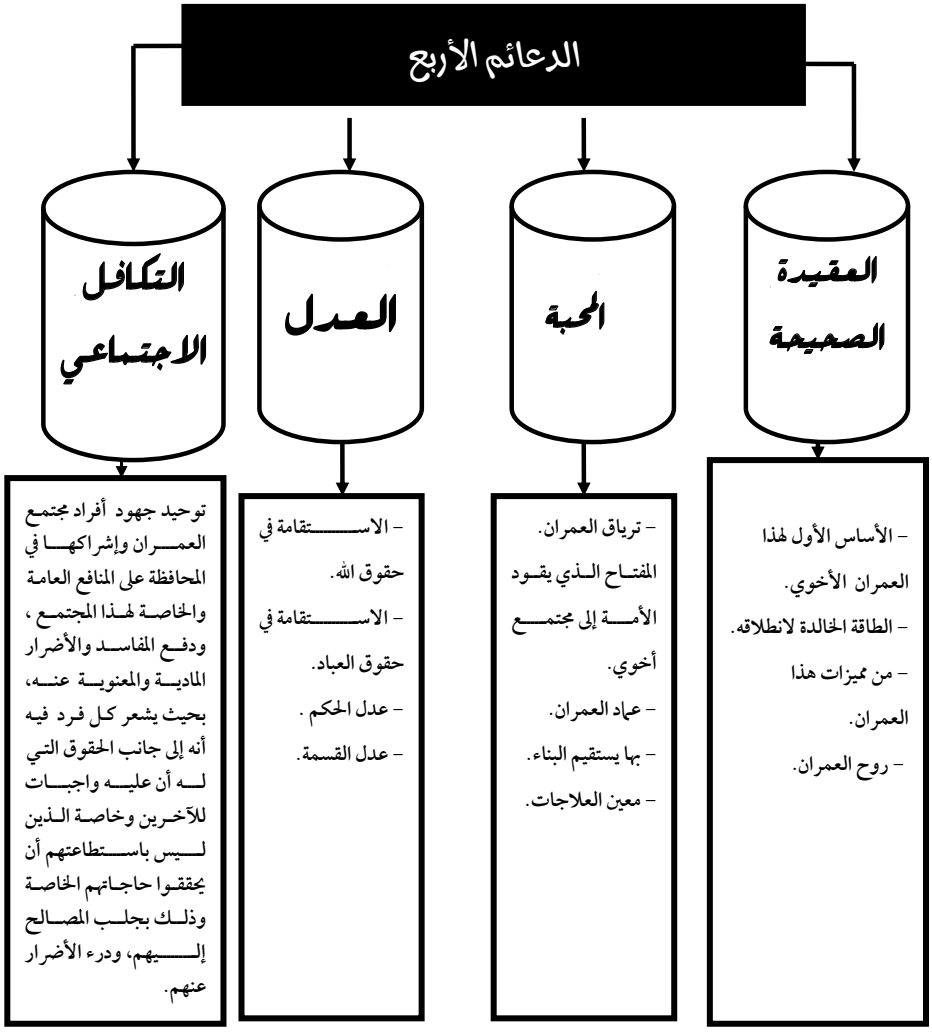

على هذه الأركان قام العمران الإسلامي الأخوي الأول فكان أنموذجا خالدا في التاريخ، ومازالت أنواره تشع على صفحاته. وكان شجرة راسخة ذات جذع عظيم قوي تغالب الرياح المزمجرة.

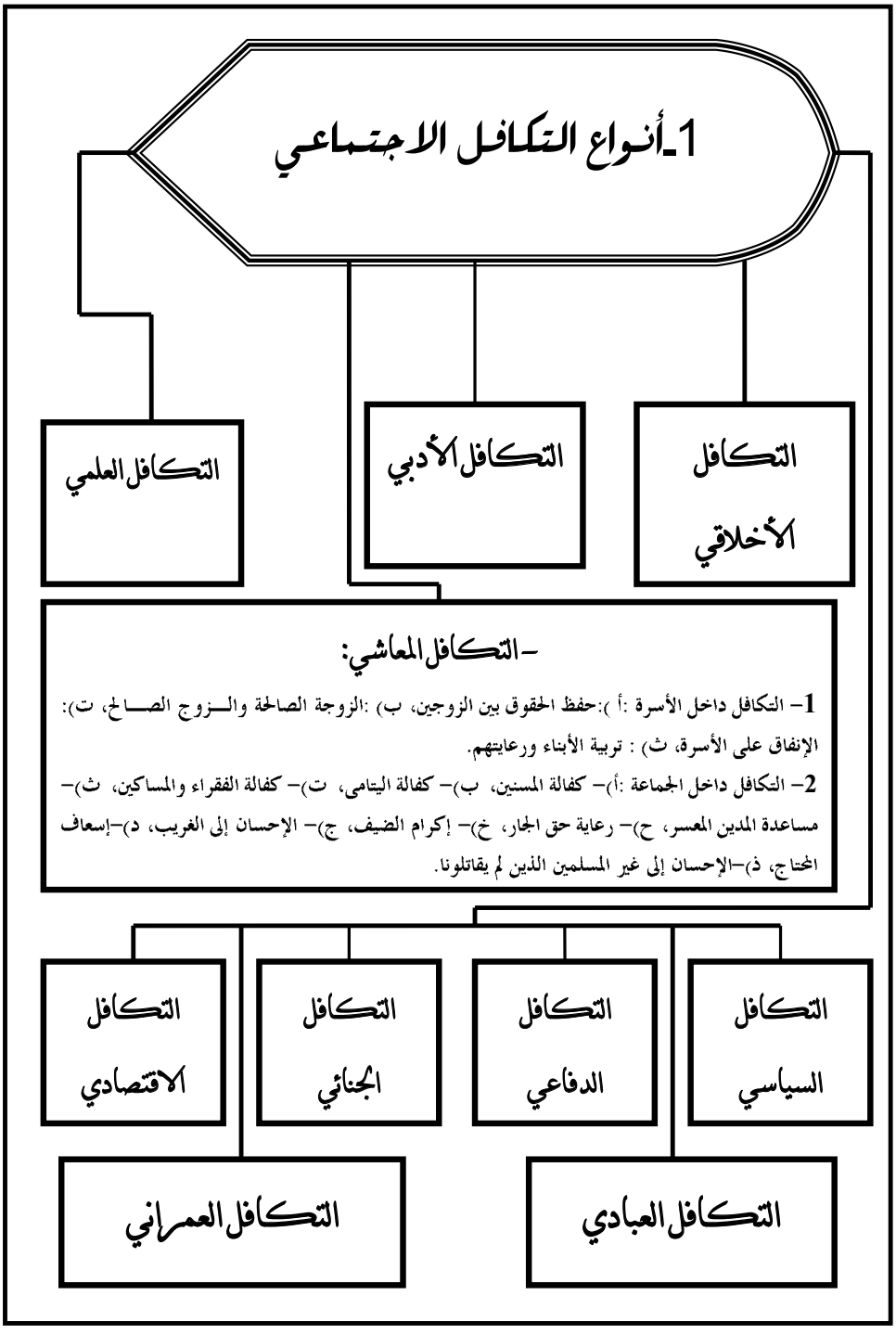
1-أنواع التكافل الاجتماعي
التكافل الأخلاقي
التكافل الأدبي
التكافل العلمي
-التكافل المعاشي:
1- التكافل داخل الأسرة :أ):حفظ الحقوق بين الزوجين، ب) :الزوجة الصالحة والزوج الصالح، ت): الإنفاق على الأسرة، ث) : تربية الأبناء ورعايتهم.
2- التكافل داخل الجماعة :أ)- كفالة المسنين، ب)- كفالة اليتامى، ت)- كفالة الفقراء والمساكين، ث)- مساعدة المدين المعسر، ح)- رعاية حق الجار، خ)- إكرام الضيف، ج)- الإحسان إلى الغريب، د)-إسعاف المحتاج، ذ)-الإحسان إلى غير المسلمين الذين لم يقاتلونا.
التكافل السياسي
التكافل الدفاعي
التكافل الجنائي
التكافل الاقتصادي
التكافل العبادي
التكافل العمراني

2. نفقات موارد التكافل الاجتماعي

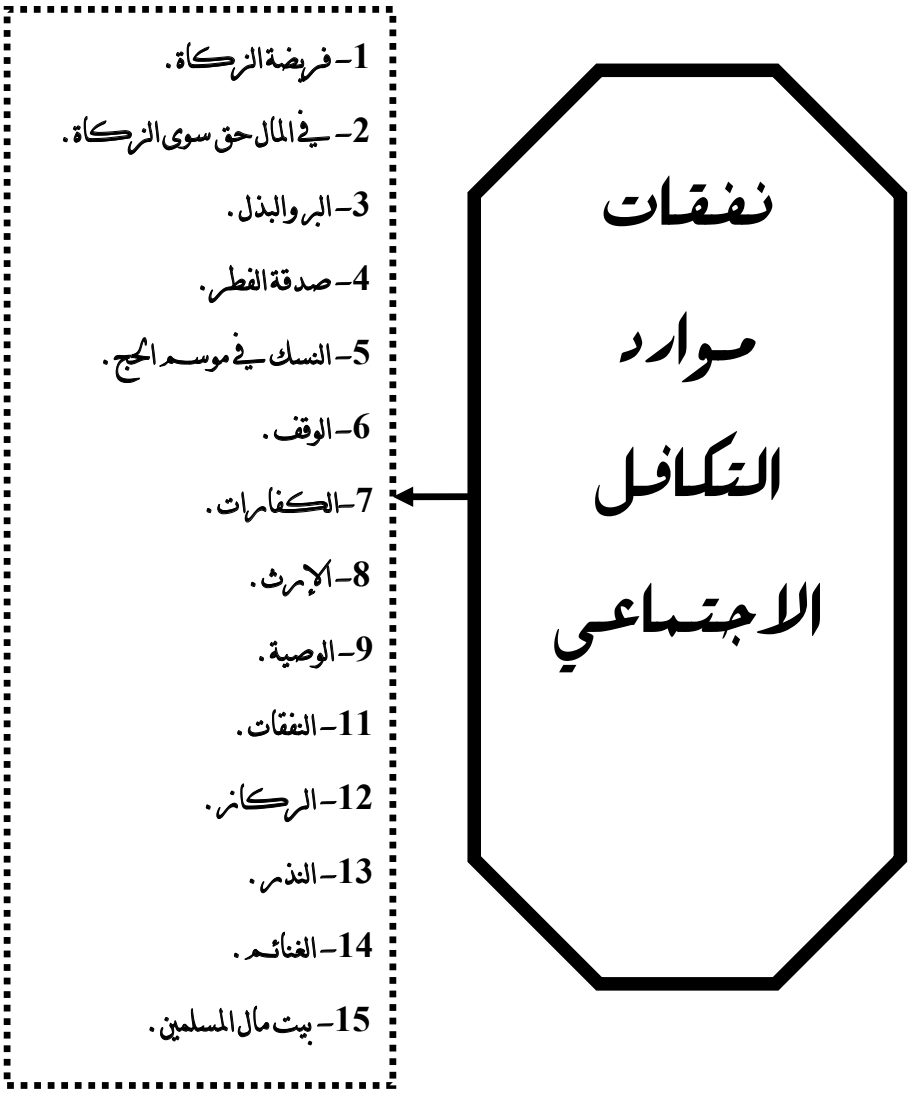

لنتحدث في المبحث الآتي عن شرائط العمران الإسلامي الأخوي المكملة لكلامنا هذا، الموضحة له.

المبحث السادس

الطريق إلى العمران الإسلامي الأخوي

لبداية العمران الأخوي، ولإحلاله في أرض المسلمين، وجب توفر شروط أربعة وهي:

1. الاستقرار على الشورى:

الشورى الجسم الذي تتجلى فيه إرادة الأمة ووحدتها، والشورى ليست هي "الديمقراطية" كما يعتقد بعض المتمسحين بالثقافة الإسلامية المعجبين بتخوم حضارات شاخت وأفكار وهنت، إنما هي مبدأ إسلامي نبت في تربة إسلامية وأصله إسلامي، عكس الدَّمَقْرَطة التي تعني حكم الشعب نفسه بنفسه، لا ذكر للآخرة فيها ولا للشريعة. ولعل من الخطورة بمكان أن نستعمل مصطلحات نبتت في غير أرض الإسلام، ونعرض عن بيان القرآن والنبي العدنان ﷺ.

الشورى لابد أن ندرجها في سياقها القرآني، لا كما يفعل البعض يعزلونها عن سياقها، فتفقد معناها يقولون: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ كمن يقول: ﴿ويل للمصلين﴾ ثم يسكت.

وها هنا سر دقيق لا يتم حديثنا إلا به؛ "إنما تكون الشورى شورى لها حُرْمَة الاسم وحقيقةُ المعنى إن توفر في المتشاورين مجموع شروط بعضُها يكمل بعضا، ويؤسسه، ويُسنِده، ويسبقه، ويلتفت إليه. هذه الشروط أخلاقيات في الأفراد، وعقيدة، وسلوك عملي تتداخل لتعطي للوَلاَية بين المومنين التي فرضها الله عز وجل مضمون الأخوة الجامعة ومدلولها السياسيَّ ورباطها التكافليَّ وعِمادها العَدليَّ"[1].

سياق الشورى هو قوله جل وعلا: ﴿...وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (الشورى).

(1) العدل، ص554.

وردت الشورى في سياق شروط تسعة أولها الإيمان وآخرها الانتصار على البغي، فإن عزلتها من سياقها ضاعت الشورى وأصبحت دَمَقْرَطَة غافلة عن الله وذكره والدار الآخرة.

فالسياق الذي يندرج فيه حكم الشورى في الإسلام، كما بسطه ربنا تبارك وتعالى لنا في الآية المذكورة من سورة الشورى، يسير على منهاجه مؤمنون ومؤمنات:

1- أيقنوا بعد أن دخل الإيمان في قلوبهم، واستَقر وتوطّن، أنّ ما يُوتاهُ الإنسان في الحياة الدنيا إنْ هو إلا متاعٌ، رحلةٌ موقوتة، بعدها موت، وبعد الموت حياة.

2- أيقنوا أن ما عند الله في الدار الآخرة خير وأبقى. واليقين لا يتولد من التعقّل الاستدلالي الذي يهدي من وفقه الله إلى اعتقاد أنه لا بد للصَّنعة من صانع، وأن وجود الخالق واجب حتم. يرفض هذا العقل المستدل الموفق أن يتصور أنَّ الإحكام المذهل في نظام الكون ما هو إلا نتيجة صدفة أو سلسلة صدفات تتابعت على مدى بضعة ملايير من السنين.

الاعتقاد الاستدلالي خطوة نحو الإيمان. ما هو الإيمان حتى يخضع العقل المستدل لما جاء به الوحي. ومعنى الإسلام الخضوع والاستسلام. فإن خضع للوحي لا يُعرف خُضوعه إلا بالامتثال لما فرض الله على عباده المومنين. وبذلك ينخرط المسلم العاقل المستدل في أمة المومنين الذين يَعنيهم حكم الشورى، ويناط بهم حكم الشورى ويتكون من ولائهم لله ورسوله ووَلايتهم فيما بينهم سياق الشورى.

3- أيقنوا، وآمن معهم الوافد العاقل المستدل بعد أن ربط الرأس بالقلب والاستدلال العقلي بالضرورة الفطرية، أن ما عند الله من خير في الدار الآخرة يناله المتوكلون على الله. وهم العاملون المجاهدون بترتيب الأسباب التي وضعها الله في الكون، وبإعداد الأسباب، وبالإقدام على المهامّ الفردية والجماعية بثقة في نصر الله، تتجاوز نتائج جهودهم نطاق الأسباب.

4- كفُّوا عن الآثام والموبقات والفواحش. فهم متطهرون، إن ارتكبوا صغيرة من الذنوب استغفروا، فكان استغفارهم رجوعا إلى الله ودليلا على الثقة في رحمة الله. لكنهم يتحاشون كبائر الإثم، ويتعاونون على حصار الآثمين، يأمرون بالمعروف ويتناهون عن

المنكر. وذلك مُناخ أخلاقي تتعبأ فيه قوى كل المومنين والمومنات ليشاركوا في الحياة العامة، ويعتبرون قضايا الحكم من قضايا الدين، والمشاركة المخلصة في إقامة حكم شوريّ نظيف قُرْبَة وعبادة.

5- مَلَكوا زمام أنفسهم فلا يَستفزهم الغضب الفردي على تصرف ظالم. ولا يستفزهم الهِياجُ السياسي على إيقاد الفتن العنيفة على المسلمين. ما بين العنف الغاضب الهدام والقوة المطمئنة البانية المتّئدة هو ما بين الثورة الرافضة الكاسرة والاقتراح المعبِّئ للجهود، المتسلل إلى القلوب حتى يستَأْلِفَها، وإلى العقول حتى يقنعها، وإلى القوة المتناثرة حتى يصنع منها آلة بناء وسفينة نجاة.

6- استجابوا لربهم استجابة كاملة متوكلة. فهم يعبدونه في الصلاة والزكاة فرضا، وفي فعل المعروف والأمر به واجتناب المنكر والنهي عنه ومنعه شرطا، وفي التطوُّع الإحساني وبذل الخير فضيلة ونفْلا[1].

7- وأقاموا الصلاة: الصلاة عماد الدين. الصلاة صلة العبد بربه، الموقوتة خمس مرات في اليوم والليلة.إقامتها إقامة لفسطاط الدين، وطرحُها واطِّراحها هدم للدين.

لئن كانت الشروط الستة السابقة من سياق الشورى أكثرها مما تخفيه الصدور من عدم الاغترار بالدنيا، وطلب ما عند الله في دار البقاء، والإيمان، والتوكل، فإن الصلاة عمل ذو أركان ظاهرة تؤدى المفروضة منها على ملإٍ من الناس في المسجد.

يمكن للمنافق في الشورى، المُدَلِّس في سياقها، أن يغشى مساجد الله ويركع مع الراكعين فيما يُبدى للناس. ويمكن للديمقراطي المنافق في الديمقراطية أن يحافظ على بعض شكليات الديمقراطية ليختان فيما تقتضيه الديمقراطية من نزاهة، ومشاركة واعية، وأمانة، ووفاء بالوعود.

نفاق بنفاق. ويفتضح المنافق في الصلاة برداءة أخلاقه وخيانة أمانته، كما ينفضح منافق الديمقراطية بتزويره وخيانة أمانته، ورداءة أدائه. فإن "تخليق" الديمقراطية مطلب مُكمّل، ليس شرطا أساسيا كما هي الأخلاق الإيمانية في سياق الشورى[2].

(1) الشورى والديمقراطية، ياسين، ط1/ 1996، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، ص11-16.
(2) الشورى والديمقراطية، ص18 وما بعدها

8- وأمرهم شورى بينهم: وبعدما تحدثنا عن البنود السبعة الأولى نصل إلى البند الثامن في سياق الشورى بعد أن فهمنا البنود السبعة السابقة على أنها اختيار حياتي والتزام بين ذمم مسئولة في موقف أخروي تؤمن به، بل توقن، وتتهيأ، ويعمل المؤمن والمؤمنة في أداءِ واجباته فردا وواجباته العامة استعدادا ليوم لا ريب فيه. ذلك اليوم وموقفي فيه أمام الخالق الدّيان سبحانه هو أمر حياتي. أي أهم شأن من شؤونها. الأمر في العربية هو الشأن المُهم.

هذا الأمر العظيم، مصيري إلى الله ومقامي عند الله يهيمن على سلوكي فلا أتحرك إلا استجابة لربي، وبنيّة صالحة مخلصة، وباستقامة على ما أمر الله ونهي. بنيات صالحات لا بأمنيات طامحات.

هذا الأمر في شؤون الحكم يسمى شورى[1].

فمجتمع العمران الأخوي المنشود عماده على صعيد القلب محبة الله ورسوله والمؤمنين، وعماده على صعيد الفكر والرأي والفهم والسياسة الشورى. قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (آل عمران).

9- وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ: الإنفاق مما رزقنا الله. هو الزكاة أساسا يكملها الإحسان إلى الناس وتكملها الصدقة. هو العدل في قسمة الأرزاق. هو التكافل الاجتماعي.

10- مقاومة البغي والظلم والتحكم في مصائرنا دون رضانا. هذه الخصلة الشريفة تجمعنا مع الفضلاء الديمقراطيين، وتصلحُ رباطا وثيقا، ومقدمة لاندماج المختلف، وانسجامه، وتعاونه.

خصلة شريفة واحدة مغروسة في نفوس كل الأحرار، من بين عشر خصال هي خصال السياق الشوري. فمهما كانت مرتبة الإباء وكراهية الظلم والظالمين ومقاومة البغي والباغين، فهي لا تعدو أن تكون في الحساب العددي جزءا من عشرة أجزاء. وهي بالحساب السياسي والمواقف النضالية مؤهل رئيس لو كنا مجرد ديمقراطيين وطنيين مناضلين[2].

(1) نفسه، ص28-29.

(2) نفسه، ص38-39.

جَرِّد الشورى من سياقها المذكور أعلاه، وأَخْرِجها من مائها، فإذا أنت تُزور، وإذا أنت تُلبس اضطراب الناس في تنظيم المجتمع والدولة لباس كذب إن نعتته بالإسلامية. لا يكون التداول شورى، ولا الدولة دولة القرآن حتى يكون ما عند الله مطلب المومنين المتشاورين، حتى يكون التوكل على الله سبحانه ذخيرتهم، وحتى يكون اجتناب الإثم والفواحش قضية عامة يتناولها واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنقد والملاحقة والمحاربة، وحتى تكون الأخوة والمحبة وكظم الغيظ والتسامح لحمة المجتمع وسداه الشريعة، وحتى تكون الاستجابة لله ولرسوله الباعث المنهض، وحتى تكون إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله مادة العدل والإحسان، وحتى يكون التناصر على بغي الباغين وعدوان المعتدين وتحرير أرض المسلمين بالجهاد الدائم برنامج الدعوة، ومخطط الدولة[1].

وهنا قضية قد يكون من الأهمية بمكان معاودة التأكيد عليها، وهي أن في سياق الشورى نجد واجبات وفضائل متحدة وملتحمة، ذلك أن الله جل وعلا أدرج مبدأ الشورى بين تسعة فضائل واجبة تميز تفكير المؤمن وعاطفته وسلوكه وأخلاقه، عن تفكير المنحرفين والضالين والكافرين، وتميز المجتمع المسلم في سلوكه وأخلاقه عن المجتمعات اللاييكية "Laicismo" المادية.

ولأهمية هذا المبدأ نجد في القرآن سورة باسمه "سورة الشورى"، ونجد النبي ﷺ يستشير أصحابه في محطات كثيرة في غزوة بدر وأحد والأحزاب وغير ذلك، كذلك في عهد خلفائه الراشدين كان هناك مجال واسع للشورى، بدء من اختيار الخليفة وانتهاء بالعلاقة التي تربط الراعي بالرعية.

ونظام الشورى في الإسلام يمتاز بأنه يضع للشورى حدودا لا تتعداها، فعقائد الإسلام الإيمانية، وأركانه العملية، وأسسه الخلقية، وأحكامه القطعية –وهي المقومات إنسانية التي ارتضاها المجتمع وأقام عليها نظام حياته– لا مجال فيها للشورى، ولا يملك برلمان، ولا حكومة، إلغاء شيء منها؛ لأن ما أثبته الله لا ينفيه الإنسان، وما نفاه الله لا يثبته الإنسان[2].

(1) سنة الله، ص310–311.

(2) من فقه الدولة في الإسلام، الشيخ يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط2/ 1419هـ–

(وأمرهم شورى بينهم) تشير إلى تراضٍ عام بين مؤمنين، وإلى اندماج عاطفي قلبي إيماني. ثم إلى أمور وشؤون تابعة للغاية الأخروية يتشاور فيها، ويتراضى على الرأي الأسَدِّ[1].

لكن الذي حدث، بدءا من الانكسار التاريخي[2] الأول ذلك الانحراف الخطير في تاريخ الأمة الإسلامية الذي تحول فيه أمر الأمة من خلافة راشدة إلى ملك عاض[3] وجبري[4]، وافترق القرآن والسلطان وانفرم عقد الأمة، مرورا بإحلال القهر والاستبداد مكان العدل والشورى، وصولا إلى التفرد بالسلطان بعيدا عن شورى الأمة، وغيرها من المعطيات المنافية لروح الإسلام وشريعته الغراء، جعل الأمة في أمر مريج ووسط بحر هائج وأمواج متلاطمة... وتحول ذلك العمران الأخوي الذي وضع دعائمه المتينة سيدنا محمد ﷺ وسار على منهاجه خلفاؤه من بعده، إلى فرق وطوائف ومذاهب تتطاحن بينها. ورُغم هذه الفتن الحالكة، والخطوب العظيمة، فإن أمل الأمة في غد الإسلام الذي يعاد فيه بناء العمران على منهاج خير الأنام عليه الصلاة والسلام.

2. المشاركة العامة في تنظيم الجهود:

إن الأمم تبدأ نشأتها متجمعة العزيمة مشحوذة الهمة متوفرة الجهد، لأنها تواجه تحديات جمة[5].

ولهذا يأتي شرط المشاركة العامة في تنظيم الجهود لبناء القاعدة الاقتصادية الضرورية ليكون للأمة، في يدها، من مال الله ما تنفق وتؤتي. فإنه إن عمها الفقر، وجرَّتها التبعية

1999م، ص37.

(1) الشورى والديمقراطية، ص36.

(2) الانكسار التاريخي نقصد به ذلك الشرخ الكبير في جسم الأمة مباشرة بعد انتهاء عهد الخلافة الراشدة، إنه القطيعة بين زمن خلافة راشدة على منهاج النبوة قائمة على العدل والشورى والإحسان رغم بعض الفتن التي أخرجت رؤوسها آنذاك، وبين زمن الملك العاض ذلك الانحراف الخطير -في تاريخ الأمة -، وذلك السقوط الشنيع من أعلى درج الخلافة الإسلامية إلى درك الملك العاض.

(3) الملك العاض: الذي يعض على الأمة بالوراثة وبيعة الإكراه مضى وولى. والمسلمون اليوم تحت القهر الجبري.

(4) الملك الجبري: أي الدكتاتوري بلسان العصر. وما سمي الملك الجبري جبريا إلا لأنه يحكم بغير ما أنزل الله، فيظلم الظلم الأكبر، وهو الاشتراك مع الله عز وجل في حاكميته.

(5) مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط11/ 1425هـ2005-م، 352.

في ذيل قطار الرأسمالية، وأرغمت أنفها المديونية، وخانها العجز العلمي التكنولوجي، وتسربت من بين أصابعها رءوس أموالها، لن تستطيع العيش مع أبناء الدنيا الناجحين، قانونهم التنافسية بلا حدود[1].

3. اتضاح الأهداف:

وهذا الشرط يمليه الاستقرار على الشورى وتمليه نجاح الجهود المبذولة لمواجهات التحديات والنهوض من الكبوة والتطلع إلى المستقبل الزاهر الذي تشرئب إليه الأعناق.

فما نسطره في الأوراق وما نخططه من برامج محكمة، وما نضمره في الصدور من خير، كل ذلك يجب أن يطبق في أرض الواقع، لا مجرد خطب طنانة ومدبَّجة، ودعايات كاذبة، وشعارات براقة، سرعان ما تتبخر وينمحي أثرها كالرماد الذي اشتدت به الريح في يوم عاصف.

بيد أن الأهداف المرجوة يجب أن تكون واضحة وضوح شمس النهار، منبثقة من الشريعة الإسلامية الغراء، مستظلة بظلها، مقتحمة العقبة لتحقيق المهمة المنوطة بها، وهي الغاية الاستخلافية الواردة في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية المطهرة، وسيأتي الحديث عنها في المحور القادم بإذن الله.

4. ملاءمة الوسائل المتاحة للأهداف العمرانية:

العالَمُ يعج بالوسائل المالية المادية العلمية الصناعية. هي في مُعظمها رهينةٌ في يد أبناء الدنيا. وما فضَلَ منها فوقع في حوزة المسلمين فهو مسخر لأهداف المستكبرين في الأرض. فعُدَّة الأمة لأسلمة العلوم والخبرات ورأس المال الشارد منها توازي أو تكاد في الأهمية عُدتَها لفرض الأهداف الإسلامية وتحبيبها وإنجاحها.

وكل ما تحققه إن شاء الله من نُجح في هذه الميادين يكون للمسلمين والمستضعفين عربونَ أخوة، وعطاءً تأليفيا. كان الفاروق عمر ﷺ عطل في زمانه عطاء المؤلفة قلوبهم لتقديره انتفاء العلة. فلم يرَ أن يُعطيَ أحداً شيئا ليحبب إليه الإسلام. العلة في زماننا قائمة

(1) العدل، ص 183.

بالناس، واقعة بهم، فما نحققه للكافة من خير هو دعوة واجبة. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم".[1]

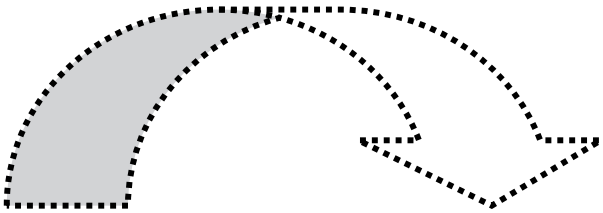

الطريق إلى العمران الأخوي

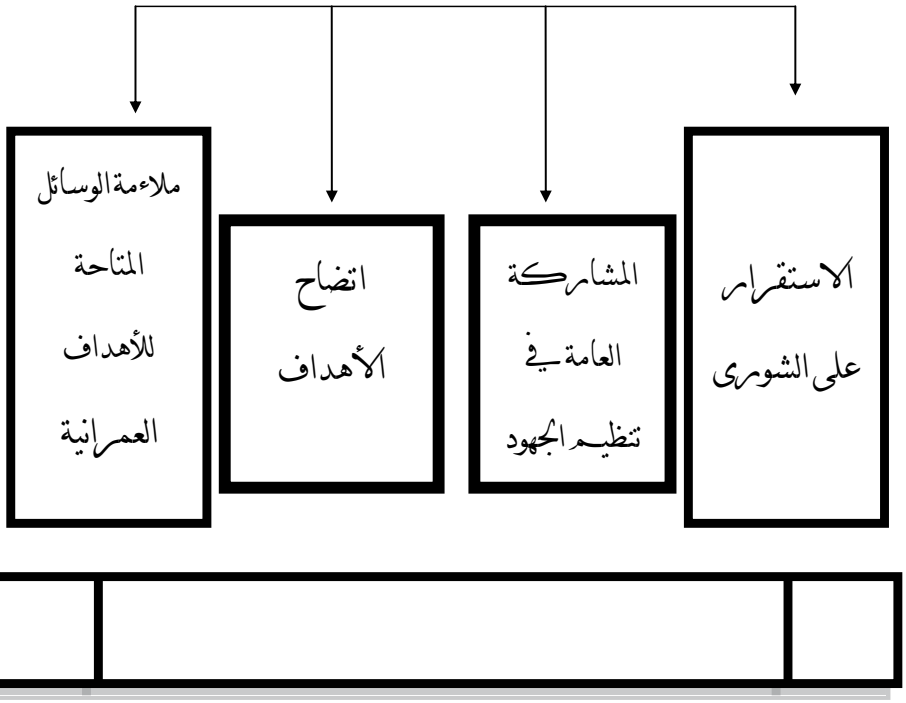

(1) العدل، ص 184.

المبحث السابع

قوام العمران الإسلامي الأخوي

إن الغاية التعبدية والغاية الاستخلافية هي قوام العمران الإسلامي الأخوي، مشروع يستهدف الإنسان، ليحقق معنى لوجوده، اقتحاما للعقبة إلى الله،﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾(البلد). و"عبارة "اقتحام العقبة إلى الله" دليل على طريق السعي الجهادي المتقدم بالإنسان، الرافع له، من دركات الكفر إلى صعيد الإسلام فمقاماتِ الإيمانِ فمعارج الإحسان. سلوكُ الفردَ العابدِ لربه، المتقرب إليه، المكلَّفِ من قِبله، المؤتمِر بأمرِه، المنتهي عندَ نَهيه، هو الضمانةُ لتكوين المجتمع الجهادي الأخوي القائم بالحق في الأرض. من انتظام ذلك السلوك الفرديِّ في وَلاَيةٍ رابطة بين المومنين، أمرُهم شورى بينهم، يتألف جند الله القائمون بأمر الله[1].

كما يستهدف الأمة في مسيرتها التاريخية من أجل استعادة خيريتها وشهادتها بين الأمم، وتحقيق سنن النصر والتمكين والاستخلاف في الأرض.

1. الغاية التعبدية:

إن رسالتنا -معشر الأمة المحمدية- لأنفسنا وللإنسان أن يكون الله عز وجل غاية كل فرد من العباد. أن يكون ابتغاء رضـاه، والسباق إلى مغفرته وجنته، والسير على مدارج الإيمان والإحسان لمعرفته، والوصول إليه، والنظر إلى وجهه الكريم، منطلق الإرادة، وحادي المصارعة وقبلة الرجاء. هذا معنى أن الإسلام دعوة إلى الله، دعوة إلى الاستسلام بين يديه، نحب لقاءه، ونطيع أمره، ونقبل حاكميته، ونجاهد لإعلاء كلمته، ونطلب الاستشهاد في سبيله. ونحن بهذا فقط نكون قدرا من قدر الله.

الغاية التعبدية إذن هي كلمة الإسلام، واقتراحه، وثمرته الموجهة لكل فرد. والأهداف الجماعية للأمة، من تحرر عن الجاهلية، ونجاح في الاقتصاد، وظهور في الأرض، شروط ضرورية ليسمع الإنسان تلك الكلمة، ويقبل ذلك الاقتراح، ويجني تلك الثمرة.

(1) العدل، ص 23.

فذلك السباق الذي عرضه الله على كل منا إلى مغفرته وجنته ورضاه والنظر إلى وجهه هو رسالتنا للعالم الشقي بحضارته المادية، المهدد بالعنف الجاهلي النووي، المتخبط بزعامة الجاهلية وكيدها وجهلها بالله في مشاكل تؤذن بسقوط الحضارة الغربية السائرة إلى أفول.

فالعمران الإسلامي الأخوي، ما هو بديل لحضارة المادة من حيث صناعتها وإنجازاتها الاجتماعية والسياسية والحياتية، بل يكون استمرارا -على شكل جديد- لنفس الحضارة المادية إن لم تكن الدعوة إلى الله البالغة إلى كل إنسان، الملحة عليه، المتحببة إليه بالعيش الكريم تحت ظلها، والإيواء الكريم إلى كنفها، هي روح مجتمع العمران الإسلامي. نحن المسلمين موعودون بالخلافة في الأرض لنعمرها، لكن عمارتها ليست مقصودة لذات العمارة، إنما عمارتها شرط ليعرف العبد ربه ويتهيأ للقائه بعد الموت. بهذا نحن قوة لا تقاوم[1].

2. الغاية الاستخلافية:

يقول الله جل جلاله: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (الصافات).

إن الحديث عن الاستخلاف في الأرض، ونهضة الأمة من وهدتها، وإعادة عزتها وكرامتها ومجدها، والحديث عن مطلب العدل والشورى، وعن الأهداف الدنيوية، وعن الغاية الأخروية، لن تكون إلا شعارات زائفة، إن لم يشتد قلب الأمة باشتداد قلوب المؤمنين، على عزمة إيمانية، وإرادة إحسانية، تتذلل أمامها العقبات وتنفتح أبواب الأرض والسماء.

ولهذا كان المقصد الأسمى من بعثة الخلاق العظيم سبحانه رسله إلى خلقه جليا مجتمعا كاملا متكاملا في الصحابة على عهد النبوة والخلافة على منهاج النبوة التي لم تدم أكثر من ثلاثين سنة بعد انتقال المصطفى ﷺ إلى الرفيق الأعلى. كان ذلك المقصد الجليل جليا في العقول والقلوب والنيات والعمل الجهادي بجلاء القرآن ونصاعة بيانه وحيويته الدافقة. هذا المقصد هو أن يكون الدين كله لله، وأن لا تكون فتنة في الأرض، وأن يدخل الخلق جميعا في طاعة الله ليحققوا الغاية التي من أجلها وجد العالم. ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

(1) المنهاج النبوي، ص 8.

لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾(الذاريات) أمة واحدة تحمل رسالة العالمين تبلغها وتجاهد وتتوحد عليها وتحكم بمقتضاها.[1]

فالغاية الاستخلافية، هي تحقيق العدل في الأرض، وهي وسيلة غايتها أن يعبد الله في الأرض كما أمر، أي هي وسيلة إلى الغاية التعبدية، يقول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (النور).

ويقول جل في علاه: ﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الأنبياء).

ويقول سيدنا النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ: كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكُفُّ حَدِيثَهُ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ فَقَالَ: يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْأُمَرَاءِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ، فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ."[2]

إن قيام الأمة بالقسط وظيفة منوطة بها، وواجبة عليها، لتعيش إسلامها بين الناس بقوة ونصاعة، ويكون هذا القيام امتدادا وحبلا متواصلا للتبليغ الذي أمر به المرسلون.

والهدف من القيام؛ تحقيق سنن الله في الاستخلاف، وبناء أمة الانبعاث، والمقصد توحيد المسلمين، والغاية حمل رسالة الإسلام للعالم.

---

(1) نظرات في الفقه والتاريخ، ط/ 1415هـ 1995م، دار البشير طنطا، ص57.

(2) رواه الإمام أحمد في مسند النعمان بن بشير ﷺ، والبيهقي في دلائل النبوة بصيغة مختلفة والمضمون واحد، والطبراني في المعجم الكبير، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة: "حديث صحيح".

و بإجمال، فإن إيقاظ طاقات الأمة وتوجيهها وجهة تخدم الإسلام مطلب أساس، وضرورة من الضروريات، على تحقيقها يتوقف نجاح العمل الإسلامي والانبعاث الإسلامي الجديد.

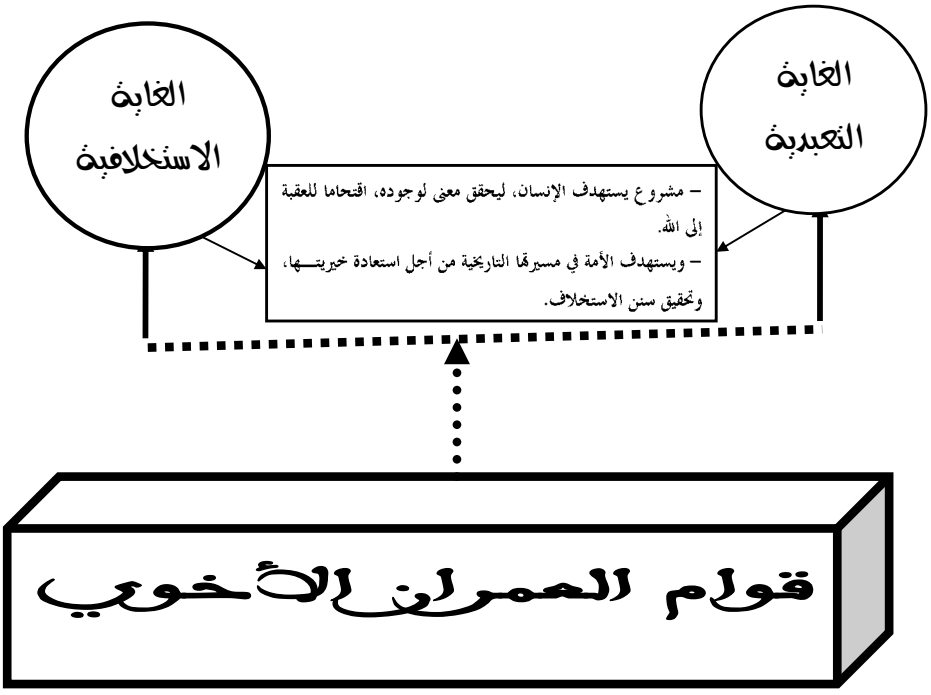

المبحث الثامن

المرأة المسلمة وإسهامها في تشييد صرح العمران

لقد قامت المرأة المسلمة بالمشاركة تشييد صرح العمران وبناء جماعة المسلمين الأولى في ظل النبوة والخلافة الراشدة، نتذكر المساندة المعنوية والمادية لأمنا خديجة رضي الله عنها التي أحبها سيدنا رسول الله ﷺ محبة عظيمة وقد نزل عليه ﷺ غضا طريا، نتذكر مولاتنا أسماء بنت أبي بكر الصديق { وقيامها بواجبها في حماية الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه وصاحبه الصِّدِّيق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه أثناء الهجرة، نتذكر أمنا الفقيهة العالمة الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله عائشة رضي الله عنها وحبها الشديد لحبيب الله وتفقهها في سنته وحرصها عليه وخروجها مع رسول الله في الغزوات وتفقدها للجرحى المجاهدين، نتذكر أم سليم رضي الله عنها ونجدتها للجرحى بالماء تنقله على متونها، نذكر أمنا أم سلمة عليها من الله الرضوان ورأيها ومشورتها يوم صلح الحديبية، نتذكر سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله وأم السبطين وزوجة الإمام علي كرم الله وجهه، أشبه الناس بأبيها التي كانت تكنى أم أبيها، نتذكر سيدتنا حفصة رضي الله عنها واهتمامها بأمر الأمة، نتذكر أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية رضي الله عنها التي قاتلت مع سيدنا رسول الله ﷺ يوم أحد قتالاً شديداً، وضربت عمرو بن قميئة بالسيف ضربات، فوقعت درعان كانتا عليه، وضربها عمرو بالسيف فجرحها جرحاً عظيماً على عاتقها. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: " ذَكَرَ سَعِيدَ بْنَ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيّ رضي الله عنه؛ أَنّ أُمّ سَعْدِ بِنْتَ سَعْدِ بْنِ الرّبِيعِ كَانَتْ تَقُولُ: دَخَلْت عَلَى أُمّ عُمَارَةَ فَقُلْت لَهَا: يَا خَالَةُ أَخْبِرِينِي خَبَرَك، فَقَالَتْ: خَرَجْت أَوّلَ النّهَارِ وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النّاسُ وَمَعِي سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، فَانْتَهَيْت إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ وَالدّوْلَةُ وَالرّيحُ لِلْمُسْلِمِينَ. فَلَمّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ انْحَزْت إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَقُمْت أُبَاشِرُ الْقِتَالَ وَأَذُبّ عَنْهُ بِالسّيْفِ وَأَرْمِي عَنْ الْقَوْسِ، حَتّى خَلَصَتْ الْجِرَاحُ إلَيّ. قَالَتْ -أم سعد-: فَرَأَيْت عَلَى عَاتِقِهَا جُرْحًا أَجْوَفَ لَهُ غَوْرٌ، فَقُلْت: مَنْ أَصَابَك بِهَذَا؟ قَالَتْ: ابْنُ قَمِئَةَ أَقْمَأَهُ اللّهُ، لَمّا وَلّى النّاسُ عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ أَقْبَلَ يَقُولُ دُلّونِي عَلَى مُحَمّدٍ، فَلَا نَجَوْت إنْ نَجَا، فَاعْتَرَضْت لَهُ أَنَا وَمَصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَأُنَاسٌ مِمّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضّرْبَةَ، وَلَكِنْ فَلَقَدْ ضَرَبْته عَلَى ذَلِكَ ضَرْبَاتٍ وَلَكِنْ

عَدُوّ اللّهِ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ".[1] وكانت رضي الله عنها ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قتل مسيلمة الكذاب، ورجعت وبها اثنا عشر جرحا من بين طعنة وضربة. نتذكر أول شهيدة في الإسلام أم عمار سمية بنت الخياط رضي الله عنها وما لقيته من ابتلاء شديد فصبرت حتى استشهدت، فقد طعنها عدو الله أبو جهل بحربة في قبلها فقتلها لما رفضت التخلي عن دينها، لما برهنت عن حبها الشديد للجناب الكريم سيدنا وسندنا رسول الله ﷺ.وغير هؤلاء كثير ممن كان لهم قدم سبق جهادا وتربية ومحبة تعلما وتعليما، وبذلا وهجرة ومصابرة، وهي أمور تدل على قيامهن بواجبهن تجاه مجتمعهن وأدائهن لمسؤوليتهن، وبرهن عن حبهن للنبي ﷺ، ما منعهن ذلك ممن حسن تبعلهن في بيوتهن.

وعليه؛ فإن المرأة المسلمة هي اللبنة الأساس في مجتمع العمران، بصلاحها يصلح، وبفسادها ينهار ويفسد، فالمرأة إذا صلحت كانت الركن الركين في بناء العمران.

فصلاح المرأة في نفسها وتأثيرها في الوسط الاجتماعي ابتداء من بيتها هو صلاح الأمة. المرأة الصالحة هي عماد الأمة. ليس في هذا أية مبالغة، لأنها حافظة الغيب، حافظة الفطرة والأسرة التي يتآمر عليها إبليس وحزبه جميعا. فهي وحدها كفاء لهم، وهي متعهدة الأنفس[2].

وفضلا عن ذلك، فإنه إذا أنس الرجل الزوج أن المرأة الزوج ركن شديد يعتمد عليه، واطمأنت هي إلى أن رفيق الرحلة ثقة وحضن أمان فقد تأسست اللبنة الأم في البناء الاجتماعي. أهم من بناء المجتمع بناء معاد المرأة ومعاد الرجل في الآخرة. ذلك المعاد مادة بنائه العمل الصالح.

وإن الذي كان يمسك البيت الأنموذجي والزوجين الفاضلين والمجتمع الأول ضوابط العدل والحقوق المؤداة، ثم العبودية لله رب العالمين وحده.

المرأة في حضن الإسلام تُكرَم، ولا يهينها إلا لئيم ناقص. تُعامَل بالإحسان. إحسان الرجل الروحيُّ يفيض عليها رِفقا وعطفا ومحبة وودا. وهي تتكرم فتصبر وتتحمل وتكافئ الإحسان بإحسان.

(1) الروض الأُنف تفسير سيرة ابن هشام، للسهيلي 3/ 268.
(2) سنة الله، ص275.

الإحسان بواعث تسمو بالهمة، وخير يبذل، ووضع للأمور مواضعها حكمة وإتقانا ومداراة وسياسة يكنفها الصدق.

من يعنُفُ على المرأة إلا رجل عارٍ عن المروءة ناقص في الدين؟ نقرأ رفق رسول الله ﷺ بالنساء في كلمته لأنجَشَة حين حدا أنْجَشَةُ بإبلٍ تحملهن، فأسرعت الإبل، فأشفق عليهن الرسول الرؤوف الرحيم وقال لأنجشة هذه الكلمة الرقيقة: "رفقا بالقوارير!"[1].

حاط الشرع المرأة وكرمها صبية في حجر حنان الوالدين، وأوصى بها زوجا وصية مؤكدة، وحث على برها والدة حثا آكدَ[2].

ففي بلاد الحريات والحقوق والمساواة والأنانية الدوابية وحضارة المادة، تلد المرأة وتكبر ويضعف جسمها فليقى بها في ملجإِ العجائز، ويُرمى الرجل المسن. شبحان يُزجيان آخر عمرهما في معمل جماعي للتمويت.

أما في مجتمع العمران الإسلامي الأخوي المتوج عدله بالإحسان يخفُّ الشرع لنجدة الأم والأب لئلا تبطش بهما أنانية المجتمع وعقوق البنين والبنات. يقول الله عز اسمه: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الإسراء).

ويقول جل شأنه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ ... ﴿٨﴾ ﴾(العنكبوت).

ويقول جل وعلا: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾(لقمان).

ويقول عز من قائل: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (الأحقاف).

---

(1) مسند أبي يعلى الموصلي.

(2) تنوير المؤمنات، 1/ 218-219.

وخص الشرع بالوصية أكثر من غيرها، فيرشد حبيبنا المصطفى صلوات رب وسلامه عليه رجلاً جاء يسأله من أحق الناس بحسن الصحبة؟ فيقول الرسول الكريم ﷺ: " " أُمُّكَ ". قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: " ثُمَّ أُمُّكَ ". قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: " ثُمَّ أُمُّكَ ". قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أَبُوكَ ". "[1]

كما خص الشرع الأسرة بصفة عامة بعناية فائقة، فالأسرة القوية هي عماد مجتمع العمران القوي، والأم المربية الصالحة المصلحة هي عماد الأسرة، والأسرة لبنة الأساس في الأمة، والأسرة الصالحة أم صالحة وأب صالح وعمل صالح. فآن أن نسأل الأمهات المومنات ويسألننا عن مهمتهن في البناء وصناعة المستقبل. مهمتهن في إصلاح العمل -الوَلَد-.

إن إصلاح البيئة الأسَرية تهيىء لينشأ الطفل في سنواته الأولى على حَسَن العادات، وليتعَلَّم العلم النافعَ من الأم والأب والإخوة الكبار، وليستعد للانطلاقة الجدية في المدرسة. الأسرة والمدرسة لكل منهما مهمة تكمل الأخرى.

فالبناء من أساس وعلى أساس متين ودعامة ثابتة عملية شاقة، عملية ميدانية، عملية متابعة الماء من نبعه لكيلا يتكدر، عملية تركيب العناصر لكيلا تختلط خلطا عشوائيا، عملية تعهد النفوس والجسوم، عملية معالجة الواقع بصبر وحزم وجد.

ما البناءُ رقدةٌ بعد صحوة. وشعار وحماس. البناء ما أسهمت به أنتِ من وقتك وصبرك وجهادكِ، ثم صبرت، ثم جاهدتِ. تذوقين بعد ذلك لا قبله طعم النجاح[2]. ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (المائدة).

فبدون أسرة قاعدتها المعاشرة بالمعروف والبر والتعاون على الخير، وبدون سياسة تتوسع من نواة وتشع من مركز، وبدون مستقبلية أخروية يتوقد همها في قلوب المؤمنات

(1) رواه الأئمة: مسلم في صحيحه باب بر الوالدين وأنهما أحق به، البخاري في صحيحه باب من أحق الناس بحسن الصحبة؟، ابن ماجه في سننه باب بر الوالدين، ابن حبان في صحيحه باب حق الوالدين.

(2) تنوير المومنات، 2/ 229 وما بعدها.

والمؤمنين، فالعيش هُونٌ. خشاش مع الخشاش، في غدير ضفادعَ تنِقُّ، ومستنقع بعوض يتآكل. صورة من المشهد الغثائي. يتامى من ديننا، بل عاقُّون ناقّون.

إنما يُقَوِّي اللهُ، وينصر اللهُ، سائرات إلى مستقبلٍ لأمتهنَّ وعدَه الله، وفي قلب كل منهن جمرة حزنها على ذنبها، وإرادة الزلفى عند ربها. لها مع الله قضية هي الحاكمة الموجهة الباعثة. هي المستقبل. وما يلفَح الوجوهَ من حَرّ حاضر الأمة وكآبة وضعها بطُمأنينة وثقة تعالجه المؤمنات. لا بترام سياسي يتعجّل، ولا بتراخٍ مُبرِّرٍ يتأجّل. المستقبلان، الفردي عند الله والتاريخي في أرض الله، يُزحَف إليهما بعد إعداد، تُقتحَم عقباتهما بإرادة، تُخطَّط مراحلهما بعلم، تُقطع المسافات إليهما بقوة لا بعنف.

فعلى المرأة -عماد الأسرة- مسئولية ضخمة تنوء بالعصبة أولي القوة فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبهن السياسي، والتغيير على المدى الأبعد وتعبئة الأمة وصناعة المستقبل واجبهن المصيري. تكتلهن واجب حول زعامات منهن تناهض زعامة المنتحرات. إزاحة الباطل من مواقعه قَدَما قدماً، ثم بناء الحق لبِنَةً لبِنَةً. صبرٌ وجلَدٌ وتحملٌ وطولُ نَفس. ورِفق مع ذلك لا عنْف. وجهاد مختلف الأشكال، متنوعَ الوجوه، شاملا لكل مرافق الحياة. جهاد تعليم، وتتويب، وتوعية، ومحوٍ للأمية العقلية والسياسية. تسهم المؤمنات في تنحية أنقاض ماضي الفتنة ونواقض حاضرها، لنبني على الأصول مجتمع العدل، وعمران الأخوة، وكيان القوة والكفاية[1].

فمجتمع العمران الإسلامي الأخوي، ومستقبل الإسلام، تصنعه المؤمنة من موقعها التاريخي حيث وضعتها القدرة الإلهية، إن سَبَقَتْ لها من ربها سابقة جِهاد، واصطفاها لذلك رب العباد.

هذه خاملة الهمة، كسيحة الإرادة، ناضب في قلبها الإيمان. لا تُحرك ساكنا من كسلها الوجودي لتعلَم هل لها من نصيب في السعادة العظمى مع المجاهدات. لا تضع قدما في ساحتهن لتخطُوَ معهن خطوة ثم خطوة حتى يَحْلُوَ لها معهن السير. أي بَيتٍ بيتُها تلك التي جانَبت السياسة، وجهلت مجرى التاريخ، وحجب عنها الحقائق ما ترى وما تسمع من أزيز حركة الكفر في سماء الدنيا ودبيب ناره في الأرض؟

(1) نفسه، 2/ 245 وما بعدها.

المؤمنات يثِقن بوعد الله وموعود رسوله. أقدامهن ثابتة في أرض المعارك، وهمُّهن الله تعالى والمصير إليه، مهمتهن في الحياة وهدف عُمُرِهن تقديمُ دفعةٍ في مشروع سنة ربِّنا الغفور الشّكور لتُحْسَبَ لهن جهادا. وإن الله تعالى بالغ أمره، وما يقلِّبه سبحانه في الليل والنهار، وما يُديل من دُوَل، وما يرفَع من قِسْط ويخفض، وما ينصر من قوم ويخذل، إن هو إلا مُفَصَّلُ بلائه للعباد. في نهاية التقليب وَالرفع والخفض أمرٌ هو بالغه سبحانه، بدفعتكِ من وزن الريشةِ، أو يُوَكِّل الله بالمهمة قوما ونساء.

حكمة المولى سبحانه فيما يأتي به في ليل ونهار لا مجال لنا فيها. والمستقبل الغامض في أعيننا أمر حاصل بالفعل في علمه ومطلق قدرته. سميت نفسَكِ صانعة المستقبل تفاؤلا أن يتاح لك موقع قدم، أو تنهض بِكِ ناهضة. وإلا فالمستقبل الإسلامي، بمشاركتِك أو بدونها فجر طالع، يتلوه ضحى ماتع ونهار ساطع. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

إن اصطفى المولى عز وجل المؤمنة كانت منبتاً وأصْلا. تكون أصلا للبذور الطيبة، ومنبتا للشجر الطيب إن كان لها في سماء الإيمان والإحسان مطلع، ومن أرض العبودية لله وحده لا شريك له مَشْرَعٌ. اكتملت فيها التربية فهي منها فائضة كالنبع الكريم يَجود. اكتمل فيها الوعي وتكامل بين وظيفتها الأمومية، وجهادِها الحركي، وإعدادها القوة للتغيير التاريخي الطويل النفَس[1].

وهنا يمكن القول: منزلقان خطيران يجب الحذر منهما، ونحن نتحدث عن المرأة المسلمة في مجتمع العمران.

الأول :الانكماش داخل البيت، فيكون البيت نقطة البداية ومحطة النهاية.

الثاني: الاستقلال من وظيفة البيت والفرار من أعبائها ومسؤولياتها.

لهذا فالتوازن شرط للنجاح، وإعطاء كل أمر حقه أمر مطلوب شرعا.

(1) المرجع السابق، 2/ 242.

المرأة المسلمة وإسهامها في تشييد صرح العمران
● المرأة المسلمة هي اللبنة الأساس في مجتمع العمران.
● المرأة الصالحة ركن ركين في بناء العمران.
● المرأة الصالحة هي عماد الأمة.
● أهم من بناء المجتمع بناء معاد المرأة ومعاد الرجل في الآخرة.
● قيام البيت المسلم على العدل والإحسان
● قاعدة الأسرة السعيدة المعاشرة بالمعروف والتعاون على البر والتقوى.
● حظهن من الجهاد تعبئة أمة وإزاحة الباطل من مواقعه قَدَماً قدماً، ثم بناء الحق لِبَنَةً لِبَنَةً.
● المؤمنات يثقن بوعد الله وموعود رسوله. أقدامهن ثابتة في أرض المعارك، وهمُّهن الله تعالى والمصير إليه.
● المرأة المسلمة حافظة للغيب.

مسك الختام

يتبين من خلال هذا العرض عناية الإسلام ببناء مجتمع العمران، يتعانق فيه التعاون والمحبة ويسيران جنبا إلى جنب، لبناء جدار الأمة الذي انتقض ويستخرجا من تحته كنز البشارة الإلهية، بجعل العاقبة للأمة الإسلامية.

فالإسلام لا يريد من الإنسان أن يبقى فردا منقطعا في فلاة، أو منفردا في جبال، بل حثه على السعي في إعمار الأرض وتحقيق العبودية الكاملة لله جل وعلا مع المؤمنين، وهذا ما نلاحظه في الخطاب التكليفي القرآني؛ حيث يخاطب الناس بصيغة الجمع، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ... ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... ﴾ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾(العصر). إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا السياق وهي كثيرة.

والغاية من ذلك كله تحقيق الوجود الإنساني الذي حدده قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ (الذاريات). والذي يتحقق بالتربية السلوكية الإيمانية الإحسانية.

فبالإسلام وتربية الإسلام وأخوة الإسلام، يتحقق العمران الإسلامي المنشود، فبالإسلام يقام صرحه وتُشَيَّدُ أركانه، فإذا تبرمت الأمة اليوم وضاقت بتعاليم الإسلام، فلابد أن تهوي عائدة إلى الحضيض الذي كانت فيه. وإلى براثين الجاهلية وأوحال الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وختاما: إن العمران الإسلامي الأخوي يتميز عن غيره من حضارات بمعالم لاحبة، وأصول ثابتة، وأسس راسخة أصلها في الأرض وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فهو يربط الأرض بالسماء، ويجعل الدنيا مزرعة للآخرة. ﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٩ ﴾(التوبة).

وما مثلنا ومثل الهائمين الحائرين، في آفاقنا الإسلامية وفي العالمين، إلا كمن يستفتون في بقراتهم العجاف، حتى بشرهم يوسف الحسن والإحسان برحمة الله والألطاف،

بالإشارات اللطاف. يبشرهم بالأذن الصحيح، والأمر النجيح.

ويلمح المستفتون عنقاءهم المُغرِب، فتلتفت إليها الأعناق، ويتم التلاق ثم يتحول المسلمون من غثائية العناكب، يزاحمون الناس بالمناكب. يبلغونهم رسالة الله، يحبون الموت ويلتمسون رضاه. أما المغبون فقرأ ما نكتب وقال : إسلام فلسفي! وما درى أن الله يعد ويفي.

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (يوسف).

بلغ هذا الكتاب إلى ختامه، وطلع بدر تمامه، وقد بدا فجر الإسلام وانتشرت تباشيره، فشمس الإسلام طالعة، وأنواره ساطعة، فحي على الصلاة حي على الفلاح!

الله أكبر هذا الصبح موعدهم ... من بعده لضياء الحق إشراق
والله أكبر وفُّوا الله موثقكم ... فحبلنا لجناب الله ميثاق
الله أكبر قوموا واعملوا وثقوا ... تُفْتَحْ لكم لمراقي العزِّ آفاق

اللهم فرغنا لما خلقتنا له، ولا تشغلنا بما خلقته لنا، ولا تحرمنا ونحن نسألك، ولا تعذبنا ونحن نستغفرك آمين.

اللهم صل على سيدنا محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صليت على آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	7
المبحث الأول: حقيقة العمران الإسلامي	11
المبحث الثاني: أسس العمران الإسلامي الأول	19
المبحث الثالث: أصول العمران الإسلامي	29
المبحث الرابع : خصائص العمران الإسلامي الأخوي	41
المبحث الخامس: دعائم العمران الإسلامي	53
المبحث السادس: الطريق إلى العمران الإسلامي الأخوي	89
المبحث السابع: قوام العمران الإسلامي الأخوي	97
المبحث الثامن: المرأة المسلمة وإسهامها في تشييد صرح العمران	101
مسك الختام	109

مؤسسة المثقف العربي

مؤسسة المثقف العربي، مؤسسة غير حكومية، تعنى بالشأن المعرفي، وتمارس نشاطها في مجالات الثقافة والفكر والأدب والفنون. تتخذ من مدينة سيدني الأسترالية مكتبا رئيسا لها، ومن صحيفة المثقف موقعا على الشبكة العنكبوتية.

جاء الإعلان عن تأسيس مؤسسة المثقف العربي في 05/ 01/ 2010م استجابة لمتطلبات العمل الإعلامي الراهنة، وتلبية لضرورات نشر وتعزيز وإشاعة ثقافة التسامح والمحبة والتكافل، وإيجاد مركزية مؤسساتية تضمن ترابط الأعمال الصادرة عنها، ووضعها في سياق العمل المنظم. فبعد عمل متواصل لثلاث سنوات في صحيفة المثقف انبثقت نشاطات اخرى، تطلبت وجود مؤسسة لإدارة شؤونها وتسيير أعمالها .

ومؤسسة المثقف العربي جهة مستقلة، ترفض العنف والتكفير، والتطرف المذهبي والسياسي، وتستقل برؤية بعيدا عن تشظيات الأيديولوجيا وكل الإنقسامات والخصوصيات التي تنال من كرامة الفرد والمجتمع. ساعية إلى ترسيخ قيم الانسان عبر إشاعة ثقافة التسامح والمحبة والأخوة ووحدة المصير البشري .

ينبثق عن إدارة المؤسسة مجلس استشاري، يساهم في ترشيد سياسية المؤسسة، والتخطيط لمشاريعها المستقبلية، كما ستمثل نشاطات المؤسسة خارج استراليا نخبة من المثقفين، سعيا منهم لتعميق الأواصر الثقافية بين أبناء الكيان المجتمعي المتحد .

مبادئ مؤسسة المثقف العربي

- نؤمن بالتعددية والرأي الآخر .
- ندعو للتعايش بين الأديان والثقافات .
- نتبنى قيم: التسامح، والحرية، والديمقراطية، وحقوق الانسان .
- نحارب العنف والتحريض والتكفير .
- نرفض الخطاب الطائفي والأيديولوجي المحرض .

- نساهم في تعميق لغة الحوار والتفاهم وفق الثوابت الأساسية المستمدة من تعاليم السماء وقوانين الأرض .
- نعنى بالمثقف ومواقفه إزاء الأحداث و التحديات، ونعرف بإنجازاته وأعماله ومشاريعه .

ماجد الغرباوي
رئيس مؤسسة المثقف العربي
www.almothaqaf.com
almothaqaf@almothaqaf.com

إصدارات مؤسسة المثقف العربي:

- تجليات الحنين .. في تكريم الشاعر يحيى السماوي
- الضد النوعي للاستبداد
- استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني ... ماجد الغرباوي
- امرأة بين حضارتين ... حوار مفتوح مع ا. د. إنعام الهاشمي
- د.عبد الرضا عليّ .. رحلةٌ متوهّجةٌ في فضاءِ النقدِ والدرسِ الأكاديمي
- جذِلاً .. بينَ سِربِ السنونو .. سعد الحجّي
- وفاء عبد الرزاق .. افق بين التكثيف والتجريب
- شوكت الربيعي .. فضاء ابداعي متوهج
- مدارات ايديولوجية .. حوار مفتوح مع الاستاذ سلام كاظم فرج
- الشيخ محمد حسين النائي .. منظّر الحركة الدستورية .. ماجد الغرباوي
- أيلول وضوء القمر .. د. هناء القاضي
- أدخلُ جسدي أدخلُكم .. وفاء عبد الرزاق
- غرّيد القصب ... سنية عبد عون رشو
- تعالي لأبحثَ فيك عنّي .. يحيى السماوي
- مدخل الى الضوء .. وفاء عبد الرزاق
- المتخيل التعبيرى .. د. نادر أحمدعبد الخالق
- منهج الشهيد محمد باقر الصدر في تجديد الفكر الاسلامي .. د. عبد الجبار الرفاعي.
- ترنيمتان لمنقى واحد .. سوزان سامي جميل وأفين ابراهيم
- مطارحات حول الحجاب والزينة في الشرع الإسلامي .. غالب حسن الشابندر

- قوانين الإمام علي بن أبي طالب .. غالب حسن الشابندر
- (مسرحية) رحلة ابن عوف الى بلاد الخوف .. محمد تقي جمال الدين
- الأم والطفل والتغذية .. ترجمة: علي اسماعيل حمه الجاف
- العُمْرَان الإسلامي .. دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية .. الأستاذ الدكتور/ أبواليسر رشيد كُهُوسْ - بالاشتراك مع دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع - مصر.

AAA - Sydney – Australia
Almothaqaf Arabic Association
مؤسسة المثقف العربي **2010**